

## ١٩. لماذا حمل الرسول السيف؟ ولم يكتب كتاباً بالإقناع؟

في هذا السؤال إجابة مفروضة إلى أن الرسول حارب ليحمل الخوض على قبول الدعوة؛ وهذه مهمة لا أصل لها من عقل أو نقل؛ مادام يدعيه الدمون بعد أمر الله لرسوله: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنُوا وَشَاءَ فَلْيُكْفُرُوا﴾ (١) وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ ذِي سَبِيلٍ﴾ (٢).

إن الإسلام بنى خطته في الحياة على استعانة زوال الأديان كلها، واكتفى بأن يبقى مذكراً بالحق، مذكراً للهوى، وقرى تلك في قوله سبحانه: ﴿وَمَن آتَيْتَ الْفُلِينَ أَمْرًا فَمِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمَا تَبَعُهَا فَلْيُمْنُوا وَمَا يَعْصُهُمْ يَتَّبِعُوا قَوْلَهُ﴾ (٣) ولئن اتبعت أمراءهم من بعد ما جاءك من العلم أنك لئن اتبعت أهل القرى لن يكونن مسلمين، فإنهم لن يقرروا الحق، وأن نحمي على هذه، وأن نهد طريقه لمن أحب سلوكه، ولنا بلا ريب أن نرد المهاجرين، وأن نحمي المستضعفين، وأن نسكت المقتربين إذا تناولوا في أذهامهم.

ولننظر في الكتاب الذي أرسله النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، ولنشمل ما جاء فيه قسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم... سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأرويسين: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آيَاتِنَا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ ؤَلَّوْا افْتِهَارًا بَآئِنًا مِّمَّنْ سَلِمُوا مِنَّا﴾ (٤).

ثم ختم هذا الكتاب: ﴿إِن رَفِضْتُمُ الْإِسْلَامَ فاعلموا أننا مسلمون باتون على إسلامنا، لا تهديد ولا سبابة وإنما جاء التأميم في موقف هرقل - إذا بقي على دينه - من الأرويسين...﴾.

(١) الإسراء: ٢٩.

(٢) كهف: ٢٩.

(٣) آل عمران: ٩٤.

(٤) البقرة: ١٩٥.

وتنحى نرى مع بعض المحققين أن الأرويسين هم أتباع أديوس البطريق الذي قاد حركة الوحدانية في التاريخ الكنسي، ورفض بقوة حمل عيسى إلهاً أو نبياً لله... وهذا القس الوحيد لم يمتع أتباعه اضطهاداً شديداً، وضاعفت قنوى الدولة الرومانية على مطاردته ومصادرة دعوته، ووزعت الحكومات الأخرى هذا الترويج حتى انقرضت كينسته أو كادت... ١.

وتستبعد أن يكون المواد بكلمة الأرويسين الفلاحين، ومساعدة الوحدانية في أرجاء الإمبراطورية الرومانية ثم في أرجاء أوروبا معروفة، ومن حق نبي الإسلام أن يتندب بها، ويذكر هرقل بموقفه منها...

إنني - بعد إذ هديت إلى ذلك الفهم - عرفت أن الاستاذين معروف الدوليس وأبا الحسن الندوي سيقانني إليه، وذلك ما يقويه ويؤكد...

وربما كان الرومانيون يحسبون امتداداً ليدعة أديوس - كما يصفونها - وأياً ما كان الأمر فقد حاولوا البيلش بالإسلام ودعائه، وشروعاً يقتلون من دخل فيها ولولا السيف الإسلامي الصلب، ولولا الرجال أولو البأس الذين حملوه، ولولا نبي اللحمة الذي انتصب دون دينه وعمرته، للذهب الإسلام في خير كان، وربما ضمن عليه الاستعماريون بدموع التماسيح بعد ما يزول!

إن المؤرخين الأرويسين غضاب لأن الإسلام قاتل الرومان! فهل سأل أحدهم نفسه: ما الذي جاء بالرومان إلى الشام وأسيا الصغرى، وما الذي جاء بهم إلى مصر والشمال الإفريقي؟

أكان الإقناع طريقاً إلى إخراج أولئك المستعمرين من أرض احتلوا أكثر من خمسة قرون؟ هل أفلح الإقناع في إنهاء استعمار البيش جنوب إفريقيا؟

إن الحرب وحدها بكل معارضاها ومضاعفها هي الطريق القدر نحو الاستعمار الطويل! إن الإسلام أغنى الأديان بالأدلة وأحرصها على استئثار الأفكار ومناشدة الضمائر، وكان يمكن أن يلام لو أنه أثر إعمال السيف على إعمال العقل، أو قابل الطلف بالعنف أما أن يعرض حججه فيلقى الهزيمة والهوان، ثم يحاول التمسرسون بالدعايا والخبروت أن يواروه الثرى، فلنزل ذلك ركوب الأهوال.

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا فاجرب أجدي على الدنيا من السلم.

وقد ربط القرآن الكريم بقاء المساجد والمعابد ببقاء المؤمنين ورفضهم الاستكانة والاستسلام ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ الدِّينَ عَنْهُمْ يَفْضَحَ عَنْهُمْ ضَرَارِعُ رِجِّعَ وَتَمَرَاتٍ وَمَسَاجِدَ يُدْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَبِيرًا﴾ ولتصرف الله من يصرفه<sup>(١)</sup>

أحببنا عاقل أن هذه النتائج النبيلة نشأت من حروب عدوانية؟ ترى لو أن الرومان نجحوا في قهر المسلمين واحتياج بلادهم أكان يبقى مسجد يرتفع فوق مورت مؤذنة؟ تلك سر الغضب في نظم الآية الكريمة ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَسَّجِدَ اللَّهِ أَنْ يَذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَحِينَ فِي خَرَابِهَا أَرْثَقَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خَوْفِي لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>

والحرب مع الفرس بدأ شرها منذ مرقى كسرى كتاب الرسول الذي يدعو فيه إلى الإسلام، لقد غضب هذا الكسرى غضبا شديدا وكلف واليه على جنوب الجزيرة أن يأتيه بمحمد هذا؟

وكان الفرس ينظرون إلى العرب بأزداء، ويحتلون أرض العراق، ومن ثم ألق كسرى أن يحارب منى هدائه<sup>١١</sup> الكائن الفرس ياذنون لسم أن يحوس خلال ديارهم يدمر أحدا إلى الله؟

السيف وحده هو الذي يحل تلك المشكلة، ومما صنع السيف، فلم يطاق الفخافة، وتركهم بعد تجريدهم من السلاح يتكبرون في عدوهم ويتبدرون ما عرض عليهم بعقلا لا إكراه على دين<sup>١٢</sup>

لا يوف في تاريخ البشرية حامل سيف أضع من محمد، ما تضيق لنفسه قط، ما غضب إلا الله وحده...

فصاحوا غزوات ورسلا الله ما يتبعوا

يقتل نفس ولا جساءوا إسقاطكم

جهيل، وتطيل أحلام، وسقطه

غزوات بالسيف بعد العذر والقتل

والجهل إن تأسه بالخلم جنت به

فرعسا وان تأسه بالخلم جنت به

(١) الطبري: ١١٤٠

(٢) الطبري: ٤٠

يقول ابن تيمية في رسالته عن القتال: كانت سيرته ﷺ أن كل من هادته من الكفار لا يتألمه وأمه كتب الحديث والتفسير والفتنة والمأزى تنطق بذلك، بل هو موافق في سيرته، ثم يبدأ أحدا من الكفار يقال: ... ولولا أن الله أنه يقتل أعدائه ليديهم باليوب - ولكنه لم يقل...

ثم قال: أما التصاري فلم يقتل أحدا منهم حتى السنة السابعة من الهجرة - يعني إلى عشرين سنة من بدء الرسالة - فلما أرسل بعد صلح الحديبية يدعو جميع الملوك إلى الإسلام، وكتب إلى قيسر وكسرى والقوقس والنجاشي، وملوك العرب بالبرق ولشام دخل في الإسلام من التصاري من دخل، فعمد التصاري بشام فقتلوا بعض من أسلم من كبارهم به فعمان، ...<sup>١١</sup>

قال ابن تيمية: والتصاري هم الذين حاربوا الإسلام أولا، وقتلوا من أسلم منهم بغيرا وظلما<sup>١٢</sup> ورسله عليه الصلاة والسلام كانوا يدعون إلى الإسلام - دعوة مجردة - فمن دخل فيه دخل طوعا لا كرها، ما أكرهوا على الإسلام أحدا، فلما بدأ التصاري يقتل المسلمين أرسل النبي جيش مؤتة للذي انسحب كما ذكرنا في الفصل السابق بعد صلح فؤاد الثلاثة، ثم كانت غزوة تبوك التي قرر الرومان ألا يشبكوا مع جيشها لحكمة رومها ..

إن القتال فرض على المسلمين فرضا، سواء كان مع الوثنيين أم مع الكتابيين، واضطروا لخوضه دفاعا عن أنفسهم وقصدتهم تأتي هذا تشير الآية الكريمة: ﴿وَأَذِّنْ لِلَّذِينَ يَمُنُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَصْدِيقِهِمْ تَقْدِيرٌ﴾ الذين أخرجهوا من ديارهم بغير حق<sup>١٣</sup> ألا أن يقولوا ربنا الله<sup>(١)</sup>

أثري الطرد من وطنه لانه مؤمن بربه بعد مهاجرتنا إذا قاتل طارديه؟ إن الدعوة تالكتي عندما رأيت كتابا يصفون معركة بدر بأنها دليل على أن الحرب في الإسلام مجيبة قرينة كانت مطلوبة وكان المسلمون هم الظلمة

إنه النطق نفسه الذي اتبع في وصف المغالطين الفسطينيين الذين اغتصبت أرضهم ووزعهم وأخرجوا إلى العراق<sup>١٤</sup> اعتبروا إماميين معتدين على اليهود الوثنيين<sup>١٥</sup>

(١) الطبري: ٣٩، ٤٠

أما القتال لعمرة جنبية أو لأطاع شخصية ، أو لفرض الإسلام نفسه على الناس بالملاح فمفروض ، قال تعالى : ﴿وَلَا إِكْرَهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (١) . وقد وردت في القرآن الكريم آيات توجب على سائر وعشرين إله عقيد كلها أن تنشر الإسلام أسامه الإذعان لها حتى ، ولتعلن الجهد ، وترك الناس أحراراً بعد عرض الدعوة عليهم ليقبلوها أو يردوها

وقد كان الرسول ﷺ شديد الإطاح على الناس ليقبلوها ما جلد به ، ويهجروا عبادة الأصنام وكان لشدة حبه عليهم يطيل مطالبهم باعتناق الحق وترك الباطل فقال له : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَمُنَّ بِمَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَنِيحًا فَأَنُتِ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا تَوْحِيدًا﴾ (٢)

والموافق أن الإكراه على الحق لا وجود له في الرسالات السماوية كلها ، وتدين ما جاء في القرآن الكريم على أساس نوح : ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَإِنِّي أَخَذْتُ ميثاقكم علىٰ أن لا تكلموا عليّ إلا بالحق ، فمَن جادلني بعد ذلك فليجادل الله ورسوله﴾ (٣)

وقد حدد القرآن الكريم عمل النبي ﷺ في نشر الإسلام ، لكشف أنه ليس حاكماً عسكرياً يفرض على الناس ما عنده أو موفداً من السماء لإظام مستعبيه على قبول ما يقول : ﴿لَا تَجْرِي أَمْتًا أَنْتَ مَدْعُوٌّ لِّتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ فَهُمْ يَكْفُرُونَ وَإِنَّ أَوْلَىٰ لِلسَّامِعِ النَّاطِقِ﴾ (٤)

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنَسِيتُمْ أَن تُبَلِّغُوا مَآثِرَ اللَّهِ وَلِأَنَّ أَوَّلَ الْبَلَاغِ﴾ (٥)

نعم بعد بيان شاف غقائق الإيمان بالله واليوم الآخر يقال للمستمعين : ﴿وَذَلِكَ الْقَرَارُ الَّذِي فِيهِ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءَ﴾ (٦)

﴿فَإِنْ جَاءَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّهِمْ فَلْيَمُزِّقْ أَعْيُنَ النَّاسِ مِنْ عَمَلِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ وَإِنَّا لَنَافِعُكَ﴾ (٧)

﴿فَإِنْ جَاءَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّهِمْ فَلْيَمُزِّقْ أَعْيُنَ النَّاسِ مِنْ عَمَلِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ وَإِنَّا لَنَافِعُكَ﴾ (٨)

## ٢٠. هل الجهاد مقصور على الدفاع أم يتجاوز ذلك لإكراه الناس بالقوة على المدخول في الإسلام؟

هناك ثلاثة مواطن يجب فيها على المسلم أن يقاتل في سبيل الله ، وبعد مسيئة إذا تطلف عنها ..

الموطن الأول منع الفتنة ، فقد يتعرض المسلمون في بعض البلاد لصيوف من الترويع والذي يتول بهم حتى يرتدوا عن دينهم ، ولا يجوز ترك حملته المعقبة تحت وطأة هذا المناب ، بل يجب كسر شوكة المعتدين واستعاط سلطانهم حتى تتقرر حرية الضمير . وثمن من شاء دون خوف قال تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ لَظُفْرًا أَضْعَافًا أَلْفَ مِائَةٍ مِّنْهُ يَكْفِي السُّبْحَ﴾ (١) وإن تورأوا فاعلموا أن الله موألفكم نعم التورق ونعم الضمير (٢)

الموطن الثاني تأمين الدعوة ، فمن حق المسلمين أن يعرضوا ما عندهم على غيرهم عروفاً عادياً لا تقتري به رغبة أو رغبة ، أي رغبة أو تعويق ، ولذا عطلت إقامتهم أو صودرت كتبهم أو حبس دعايتهم جاز لهم أن يقاتلوا حتى يتقرر لهم هذا الحق ، أي جاز لهم أن يكسروا السجاح الحميدي الذي تحصى زواجه بعض العائلات والمذاهب الضالة .

الموطن الثالث عند الغطاء على الدم والمال والعرض ، فلا يجوز لسلطان يعلم حقوقه الطبيعية لطعام الطرق الخليلين أو للدوليين عليه أن يتأصل لتضي له ، ولا يحل له أن يقبل الدنية في دينه أو دنيته أو رآلدين إذا أساءهم النبي هم يستمرون (٣) وجزاء سبيته ظاهراً (٤)

ويكن أن يتضاف إلى هذا الوطن جهاد المؤمنين الذين يحجون في البلدان العالي على الفرصة والغرفة الصغرى ولطعام الظالم بالضعفاء ، أي أكروا وأمن كانوا ..

(١) سورة بقره : ٢١٧  
(٢) سورة بقره : ٢١٧  
(٣) سورة بقره : ٢١٧  
(٤) سورة بقره : ٢١٧

(١) سورة بقره : ٢١٧  
(٢) سورة بقره : ٢١٧  
(٣) سورة بقره : ٢١٧  
(٤) سورة بقره : ٢١٧

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (١).  
 هذا يخرج من الآيات التي نزلت في مكة، فبطل أن يشتبك المسلمون مع أعدائهم في حروب دامية، كان أولئك المشركون هم موقفي نارها وحاملو عذرها، فساداً حدث في المدينة بعدما قامت الدولة الإسلامية؟ يقول تعالى: ﴿فَإِنْ جَاءَكُمْ قَتْلٌ أَسَلَّمْتُ وَخِجِي لِلَّهِ وَمَنْ أَيْمَنَ وَقُلْتُ لَدَيْنِ أَوْ تَوَلَّى الْكُتُبَ وَالْأَيْمَنَ مَأْسَلَمْتُ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَهْتَرُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَإِغَاءُ وَاللَّهُ يَتَبَصَّرُ بِالْعِبَادِ﴾ (٢).  
 وفي موضع آخر: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبِإِغَاءُ الْغَيْنُ﴾ (٣).  
 ويؤثر صاحب الرسالة الحاتمة بهذه الآية: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكُمْ مَا عَلَيْكُمْ وَإِنْ تَطِيعُوا تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبِإِغَاءُ الْغَيْنُ﴾ (٤).

وقد قلنا: إن أسلوب الإسلام على الناس تحدد في نحو مائة وعشرين آية.  
 قال ابن تيمية: بعد فتح مكة ورد الرسول ﷺ أهلها قائلاً لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، لم يكرهم على إسلام، ولا يقدر أحد أن ينقل أنه أكره أحداً على دخول الإسلام، لا متحصناً ولا مقدوراً عليه، ولا قائلة في إسلام مثل هذا...  
 تقول: وهذا بداهة وقع نزولاً على قوله تعالى: ﴿لَا أَكْرَاهُ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٥) !!

ومن أغرب الأقوال زعم بعض أن هذه الآية منسوخة !!  
 قال ابن تيمية: وجهه سلف والخلف على أن الآية لا مخصوصة ولا منسوخة، وأنا لا نكره أحداً على الإسلام، وأنا مقاتل من حاربنا..  
 وأقنع ثقافة الإسلامية أنها تدون كل شيء، ويتجاوز فيها التافه والذمير، فهذا القول الشاذ آية ﴿لَا أَكْرَاهُ فِي الدِّينِ﴾ منسوخة كتب إلى جوار القول الذي تواتر على السلف والخلف وأصبح كلاماً يقالاً ثم أصبح آية يذكرها

(١) ن: ٣٧.  
 (٢) سورة التوبة: ٩٧.  
 (٣) سورة التوبة: ٥٤.  
 (٤) سورة التوبة: ٣٥.

ونضم إليه أن الرسول حارب في بدر مهاجماً، وكذلك يمكننا يصبح الإسلام دين عدوان... ثم يحيى دور المبشرين الذين يصيحون: ألم نقل لكم إن الإسلام انتشر بالسيف؟

إن هذا المنطق اللصيق بالإسلام يعجب علماء البو الذين يحبون العنارات، ويوحون ببولاتها ويقولون:

وأحيانا تكسر على أخينا إذا ما سلم بجهد إلا أخذنا  
 وترهم الحياة على ما وصف ترويد من الصمة:  
 بخار علينا وأتربين فحسبي يتان أصبنا، وتغير على وتر  
 قسنا بذاك الدهر شطرين يتنا لما ينقص إلا ونحن على شطر

وما أسوأها حياة أن تغير طلاب نار، أو يغاز علينا مثل ذلك... !!  
 وهذا المنطق الدموي قد يعجب السلاطين والقادة الرضى بجيرون المنظمة، إنهم قد يحملون اسم الإسلام والحقيقة أنهم يعدون أنفسهم، ويستكون في سبيلها مداه المؤمنين والكافرين جميعاً...

لماذا فتح السلطان سليم مصر؟ وأجرى الدماء فيها أنهاراً؟ ولماذا لم يستعن بالمسلمين العرب على نشر الثقافة الإسلامية في بلادهم وفي غيرها؟ ولماذا ترك مسلمي الأندلس يبديون دون عون وموت دولتهم أمام الزحف الصليبي؟  
 إننا نكرر القول بأن الإسلام بأبى الإكراه في الدين، وإن كل ما ينشد حياة تتلاقى فيها التيارات الفكرية من كل جهة، فأما الزيد فيذهب جناء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض...

قال ابن القيم في كتابه هداية الخياري: ﴿لَا أَكْرَاهُ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ هذا نفي في معنى النهي أي لا نكروها أحداً على الدين، نزلت هذه الآية في رجال من الصحابة كان لهم أولاد قد نهضوا أو تنصروا قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أسلم أبائهم وأزادوا إكراه أولادهم على الدين فنهضهم الله سبحانه عن ذلك، حتى يكونوا هم الذين يختارون الدخول على الإسلام.

قال: «والصحيح أن الآية على عمومها في حق كل كافر».  
 إن الإكراه سلاح كل فقير في براهينه فاشل في إقناعه، أعوزه المنطق فأسفته المنصاة، ولأنه لمن الجهل الخجزي أن يتحدث من الإسلام من لا يعرف إعجاز العقل، وقدرته الذاتية على الانتشار والانتصار...

## ٢١. هل فريضة الجهاد لا تزال قائمة؟ وما واجب المسلمين اليوم تجاهها؟

ما من أيام الجهاد فيها أحب إلى الله من هذه الأيام النحسات التي يذوق فيها المسلمون هزائم في كل ميدان، ويقعدون فيها الأرض ولعرض ولدينا والأخيراً! غير أن الجهاد المطلب من طراز آخر غير ما ألف الناس، إنه جهاد الكلمة، وجهاد البحث والدرس، وجهاد المال والقانون... وأيضاً الجهاد بالنفس حتى لا نقعد عقائدنا وكل مقوماتنا الدينية والأدبية..

كان العدوان على أرض الإسلام قديماً يتم بين دق الطبول وصيحات المتصممين الوحشية، والصراخ المجهون بضرورة القضاء على دين محمد! أما في العصر الحديث فنجرة القتل تتم بحسبي به كاتم للصوت، ووسط كلمات مسمومة تخفي وراءها الحقد الدنيي..

إن الاستعمار العالمي لم ينس يوماً كراميته المعينة للإسلام، ورضيته الهائلة في وألما

وقبل أن أنصح بخطه الجديد أشير إلى خطه قديمة مستعرة:

إن الغرض من كدس العالم الجديد لم يكن لاسباب اقتصادية مجردة!! بل كان لاسباب دينية أهمها القضاء على الإسلام!! وأترك الكلام المورخ المعالي ههنا في فنيشرو ولا يكلن القول بأن الدافع لاحتشاف العالم الجديد لا يتعدى الرغبة في إخضاعهم على التوابع، ولذبح أذ احتللت المساحر الدينية بالمناجم الاقتصادية، ففي القارتان كانت التورعات التبشيرية تتنازل الأعمال بأسره، وكانت مشروعات البريتال وإسبانيا تشير أكبر قسط من الاهتمام، لا لأنها تقتضي إلى تصدير الأشياء فحسب، ولكنها أيضاً تستغني إلى شئ مهموم على المسلمين من ناحية الشرق!! كان المعروف أن غاشي الحمية مسيحي، وكان المعتقد أن الجهاد دولة مسيحية يحكمها عامل يقبض بأحضان الأكبر وكان يداعب أوروبا الكاثوليكية أمل كبير في أن

تتلقى من هؤلاء الملوك الشرقيين مساعدة فعالة في حرب صليبية ضخمة أخيرة تنهتها على المسلمين، تلك هي خطة الهند كما رسمها نقولا الخامس - بابا روما - منذ وقت مبكر يرجع إلى سنة ١٤٥٤ م في مرسوم بابوي إلى ملك البرتغال، وفي هذا الجو المغمم بالأمال الكبر الائج كولومبس ليكشف الطريق إلى الهند غرباً!!

نقول وليبدأ تنفيذ المخطط الاستعماري كما رسمه البابا نقولا الخامس..

لكن القدر لم يعد كولومبس إلى الهند كما كان يتصور، لقد قاده إلى أمريكا! وتأخر تنفيذ المخطط المعينة، إلى أن استولت أوروبا على الشرق الإسلامي وغير الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجرة، وشرع الحقد القديم يتنفس، أنه يتنفس هذه المرة ببيت هائل، ويحمل بدماه وإتانة داخل حجرات ناعمة، تراكب خصومه ينجحون في العراء!

ولما احتاج الأمر إلى البطش أخذت أنفاس الجماهير في صمت كذلك لو تأمل الفصحح!!

وقد شرحنا في موضع آخر من كتبنا الأسلوب الذي اتخذ للقضاء على الإسلام أمته ودولته ولا بأس من الإشارة إليه هنا:

١- بعد توحين دولة الخلافة وانتفاص أجزائها وجهت إليها ضربة قاتلة في أعقاب الحرب العالمية الأولى طوت رأتيتها، وقيست على الوجود الرسمي للإسلام في البلدان الدوحي.

والخلافة بين المسلمين تظل - كما قلنا - أوبة روحية وثقافية مهيبة، وتزخر إلى ولا المسلمين لدينهم، واستمسكهم بوجدنهم الكبرى وأخبرتهم العامة.

وفي الوقت الذي محا الاستعمار فيه هذه القيادة التقليدية وهم القيادات التقليدية لتشي الأديان الأخرى..١.

٢- أكثر الاستعمار من صناعة دول لها صبغة تزيهه، وليس لها كيان طبيعي، ولا كان للدين الأول في إفريقيا هو الإسلام فقد أعاد رسم القارة المذكورة جغرافياً وسياسياً فأشاع أكثر من خمسين دولة زاهي في تكوين كل واحدة ضم كثيرة من كدس المهن المتنازع الأديان المعنوية وجمعة أسلحة التاريخ بجملة من شمس وقد التفت إلى هذه القوت لا تكثر عبد البطل على الدين أمام ضيع الصوت الإلهية.

ومن المثير أن يعرف من يجعل أن مذابح صليبا وشامبلا كذبتها الصالحات  
الحية، وأن مذابح سبقتها بين المظنين والمبشرين تحت في صمت كتيب،  
وخر من شاهدها من المصنفين الأجانب لأهم وجها أنفسهم وأرادى مرويين .  
وقد أصعب منطاة التحرير عدد القتل، باثنين وسبعين ألفا منذ الهجوم للمدى  
أفقتت عنه المنظمات الدولية واكتفت في استكراه بيان شاحب جافت ...  
إن من حقنا أن ندفع عن ديننا وعن أرضنا، وأزينا لسلالة أن يطلب منا طالب أن  
نرد عن إيماننا وأن نترك لغربا بلادنا ...

لماذا يلح اليهودي أن ينتهي إلى نواته، وأن يعتدى بتصرصها على تحديد الأرض  
التي يربدها من كياننا ولا يلح للمسلم أن ينتهي إلى قرانه وهو يد هذا الاعتداء؟  
لماذا يكون الإيمان - من خلال تعاليم القرآن - رجعية مغررة، ويكون الإلحاد من  
خلال تعاليم الماركسية تقدما محترما؟

لماذا يكون سدوين يهودى في روسيا جزية يضطرب لها الضمير العالمي ويكون  
قتل الأوف الموقرة منا شيئا عاديا؟

إن الجهاد فرض عين على كل مسلم وسلمية حتى يظهر الإسلام بحق الحياة  
لنفسه وأرباعه دون ضعاف، وواق، ولنا نوجب الجهاد لاضهاد الأتية أو قسر  
الغير على عقيدة يأبها .1.

يبدأ أن حق الحياة الإسلام وأمت مطلب مذكور يخفى لدى الكثيرين،  
والاستعمار العالمي يشعبه كلها يند في فراغ، وسط أم استهلكها اتباع الشهوات،  
وحب الدنيا كراهية الموت، وتوجد حرب عالمية الآن بين مسلمي أفغانستان  
والإتحاد السوفيتي، وأعرف من الجاهلين رجلا يقاومون ببسالة ما يلد بهم، لكن  
ماذا يقفون أمام أنواع من البيئات الكيمائية، والألات الجهنمية في البر والجو؟  
إننا ندفع ضريبة تختلفا العام والجهاد الضمر ينبغي أن يتجه إلى أسباب هذا  
التخلف العلمية والطبقية المورثة والتجوية.

وبذلك نتجح في صد العقافة ودحر العذراء...

إسلامية إلى تلة خلفها التبشير، وجعل الحكم في هذه القلة وأصبح عليها رعايته  
وتأيد، وركز الجمهور المسلم لا حول ولا أول يفقره الجهل والقر والرض .1.  
عمل على تنمية القوميات الصغيرة والكبيرة، واجتهد أن يحيا وفق ملامح  
علائقية أو شيوعية وأرور إلى ساسها الإاجل الإسلام دين الدولة، وأن يحفلوا  
هذا النص من المسمر.

4 - في الأقال التي يتر فيها ذلك، يكون توقيت التزعة الإسلامية بإقتها من  
مبادئ التعليم والتشريع، وخلق إعلام صالح وأب ساجن وقضايا تشمل اقرباغ  
وتبد الطاقات وتوحيخ الجماهير.

5 - فسح الطريق أمام الحركات الدينية الخروية، وتركها تنتشط لجمع الأجيال  
الثانية على أنكار بانية وجعل عقيم والتدينون اليه عون عظيم. من حيث  
لا يشعرون - للاستعمار العالمي، وطريق مختصر للإزراء على الدين وأمله.

6 - إبقاء التعليم الأصلي إن أمكن، وتصويب رؤسا، تاقبون على مساهمه  
التقليدية يطورون حول أنفسهم ولا يفتنون عن الإسلام شيئا، وياحق بذلك إحقاق  
مزائم منكورة بالذلة العربية في كل ميدان.

7 - إبقاء التخلف الحضاري والصناعي والثقافي وجعل المسلمين أما استهلاكه لا  
منتجة، بحيث إذا حدثت محسنة إسلامية - رغم كل حيلة - لم تجد  
وراءها، ما يهدم بالقوة أو يعين لها التقدم والتناجح.

من أجل ذلك قلنا: إن الجهاد الإسلامي حق، لكن الوسائل الصحيحة ليست  
في العنف وتزقن والخصم الطويل، بل في تخليق مدرسة وغايات واضحة  
تلي حاجات أمة كبيرة وتعين موزوم في أغلب الجبهات!!

إن الجهاد أصحى فرض عين على كل مسلم وسلمية في وجه غارات دالية تفرح  
تريد اقتراح الإسلام عن جبروت، وتزعم كل الرضى أن يعيش أتباعه وفق تعاليمه .  
وقد كنت أحيب أن ارتقاء الحضارى الحديث قد محا أحقاد الماضي، وسر  
للناس جميعا أن يتعارفوا لا أن يتناكروا، فلما وقعت مذابح لبنان الأخيرة رأيت  
كان المدعوة ولدت اليوم أو أمس نقفا ورأيت جئت الأطفال الشروعة المبعثرة ها  
وهنا تشبه بأن القوم يقتلون في هؤلاء الأطفال امتداد الإسلام للعد القريب  
أو البعيد!! إنيا هي مذهبة بيت القدس أواخر القرن الرابع الهجري!

## ٢٢ ما معنى أن الله جعل المسلمين أمة وسطا؟

قالا من قدم : إن القضية وسط بين ذنبيين ، رسوا وأورد هذا القول لم لم يقدّر فإن الحقيقة تفتح بين الإفراط والتفريط ، والناس يعاونون كثيرا من الغلو الشديد والإفراط البارد .

وعندما ظهر الإسلام كان اليهود معزوفين بالعرض على الحياة والحب القوي للناس ، وطلبه من الربا ومن وهو السحت الأخرى ، وأن المسيحيين يرون القوى في الرجائية والبره واستلزال المال ، حتى قيل في كتبهم : أن يبلغ الجمل في سم الخيط أقرب من أن يدخل النسي مأكولات السموات<sup>(١)</sup> .

وجاء الإسلام ورفض المساكين ، ودلّ المال وسيلة لا بعبه وقال النبي ﷺ : إن هذا المال خضر حلو ، ولعم صاحب السبل هو من أعطى منه الشيمت والمكين وابن السبيل وإن من يأخذه يضره حلو ، ولا يشبع ، ويكون عليه شهيداً يوم القيامة .

وكانت الصرامة والقسوة لمخوفتين في معالم اليهود ، كان التقوى عقوبة مرصدة لكل ذنب ، وكان مرضاة الله لاتهم إلا بإيجابيات جادة ومظاهر محبوة ، فحباء عيسى عليه السلام يتحدث عن القلوب الرقيقة والبشرة الضعيفة للفقيرة إلى غفر الله .

وقالوا : إنه ترك امرأة أقتبعت متعبة بالأثم ، وقال لليهود : من كان معكم بلا خطيئة فليقدم ليرحمها .<sup>(٢)</sup>

وجاء الإسلام ورفض العبادة القروية بالصلف والاستعلاء على الناس ويشر التوبة لكل عاثر وأمر بسوته والحدوازه عندا ، وأقر العقاب لمن يتسبب بجرمه ويؤذي المجتمع بالإسراء عليه<sup>(٣)</sup>

أى أنه رفض الطاعة المسكرة ، ورحم المصيبة الناعمة وطلب الإصلاح الخواص الرفيعة يقول على بن أبي طالب : للفقير كل العقيقه لم يقط الناس من رحمة الله ، ولم يفرهم مكرها

والحق أن عيسى عليه السلام لم يستهن بحرية الرضى ، ولكنه كما روى الإمام مالك عنه يقول : لا تنظروا في ذنوب الناس كالحكم الرباب ، وانظروا في ذنوبكم كالحكم عبيد ، فإنما الناس يبطلون ومعاذى ، فاحرصوا أهل البلاد واحمدوا الله على العافية ..

والإسلام حين وسط بأمر الأمة بالترام الصراط المستقيم ويحذرهما من الإفراط المفرقة بينا والمفرقة يشارا .

سئل ابن مسعود رضى الله عنه : ما الصراط المستقيم ؟ فقال : تركنا محمد في أدنائه ، وطرفه في الجفة ، ونحن بينه جواد وعن يساره جواد يعنى طوقا شتى - ولم رجال يدعون من شربهم ، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت بهم إلى النار ، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة ، ثم قرأ ابن مسعود ﴿وَأَنَّ مَقْصُودَ رِجْلِي سَبْقِمًا فَأَمِيرُهُ وَلَا تَجْبِرُوا السَّبْلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ...﴾<sup>(١)</sup>

والغلو في الدين قد ينتج عن خطأ في الفكر أو عوج في الطبع ، وغلبا ما يبيع عن الحق وينتهى بالإسلاخ عن الدين الصحيح لذلك يقول الله تعالى لنبيه : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَظْلَمُوا كَثِيرًا ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾<sup>(٢)</sup>

هناك من يبالغ في التمسك فيتحرف بينا بالإفراط والجماس الكافى ، وهناك من يحرف يسارا بالإهمال التفتي بالحد والحدود . يقول الشيخ محمد عبدالله دواز : وكأنه أشد البصير إلى طرف الإفراط والتعمق في الدين ، وبالسار إلى طرف التفريط والتقصير ، وكلاهما منحرف من سواء السبيل ، وعن الوسط الذى لا يحل إلى أحد الجانبين ، ونحن لم نتبعنا أنواع البع والضلالات الاعتقادية ونحن الشبهات التي أغرت إليها الحاديث الضرائق الأمة على بضع وستين شعبه أو البع والضلالات المميتة وفنون الحيوانات التي أشارت إليها الحاديث فتح الدنيا وسطها لهذه الأمة وتأنفهم فيها لأجل أسمهم بينهم ... إلخ ، لو جردناها لا تمدد مدتين الطولية .

إن الإسلام يجعل التوسط فضيلة في شئون الدين والدنيا جميعا ، ففى مجال التبعيد يرفض الإسلام الجهد الضئى ، ويؤثر الاعتدال المشعر قال رسول الله ﷺ :

(١) - التوبة : ١٥٣ .

(٢) - التوبة : ١٥٣ .





## ٢٢ كيف يبنى الإسلام الأمة المسلمة؟

ألف الناس في عصرنا أن يكون ولا الإنسان الأول لوطنه وقومًا حسنا: ما الوطن؟ قطعة من الأرض تربطها بحقوق وتكرياتها لكن من صاحب هذه الأرض ولكيها؟ هو كل من الأرض ومن فيها أن كُلم تَعْمُونَ ﴿١٨٨﴾ ومن خلق الأوام الذين يحثون قلوبها ويشد أوسمهم ويرأسهم؟ ألا أن الله من في السموات ومن في الأرض... ﴿١٨٩﴾

ألا يكون الملائق أوشق وأسبق بهذا الإله الخالق المالك؟

إن الإسلام حين يبنى الأمة يجعل الإيمان المحقق هو الدعامة الأولى في هذا البناء، ويجعل الولاء لله والعمل له الوظيفة الأولى لإبسان الرائد السوي.

إن مواطن من الرابطة العامة هي التي تحرك المسلم وتحدد له غاية ومتهاجه، وهي مواطن تتساوى كلما سمع الأذان للصلوات الخمس، وكلما حذوه إيانه عن رغبة مجرنة أو دفعه إلى عطاء سخي، أو وقفه ليند أز ضعيف، أو أمره بالصباح في وجهه منكر... ١١

إن الرابطة التي صنعها الدين أنفس معدنا وأرضي قلوبا من المواطنة التي صنعها الناس، ومع ذلك فالمسلم أول المناهضين عن الوطن، أول الخاضعين من المعشيرة، أول القائمين بالغرق الظلمة من كل إنسان كريم، لأنه بأبي القسم وبعد المدون، وبأنه أنه يكون تكلم الإيمان هو الروح الساري في كيان الأمة كلها، والنظام للكار والصغار والأقوياء، والضعفاء والأغنياء والفقراء... ١٢

ويعود أن يرس الإسلام أسس هذا الدين بفرض مبدأ الأخوة في الأمة المؤمنين

إخوة ﴿١٩٠﴾

والأخوة ليست فقط أخوف، إنها رحم دينية موصولة تعطي شذرا لشخص وأزكى ما تعطي للغيرطانية والاشتراكية في الميدان السياسي والاقتصادي، إنها خلق فريدي ونظام اجتماعي، وقد اعتمدت الدولة الإسلامية منذ نشأتها الأولى على

(١) المؤمنون: ١٨٠

(٢) يونس: ٦١

(٣) المؤمنون: ٨٤

فله الأخوة في مواجهة ظروف الحرب والسلام والإقامة والهجرة والقتل والقيام وتكمل الأبناء والواجبات... ١٣

ومن يتبع الأخوة يتبعن إيمان من زائد العزة والاستقرار مما مبدا التناصر ومبدا التعصب...

أسس التناصر في المسلم لا يبع أخيه أبدا يخرج لو يترك، وقضى إنيته تاركاً إله يواجهه وحده ما يقع... كلا، يجب أن يأنزه دينه ويضع عنه، يحاسب منه لو دونه... والواقع أن المنهج الشجوان لا يستغنى عن عنصر مادي يسمعه في المهادنة، إن البر قد يغيب إذا أمن، وقد يستند القتال إذا قطع عليه الطريقاً ولكنه يغيب ويستند ويهجم على المبتلى إذا كان معه سلاحه، والذين سلاح لا أخيه، ووقفه له في الشدائد، والذين بين أخوات يتحرك بقرام كلها، لا يقوته وحده، ومفنا الشعور الإجماعي من معالم الجماعة المسلمة...

قال علي الصبراء والسلام: المسلم أخو المسلم ويعظمه ولا يسيئه... وفي رواية: «المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يكذبه ولا يعظمه، إن أحدكم من آفة أخيه»؛ وفي رواية: «عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن وجه يوم القيامة».

على أن لهذه الصورة الواجبة صوراً مختلفة تقتضي التنصر لأروية، فليس الأمر عصية مبيها، كلا، المهم إحداث الحق وإبطال الباطل فمن أسى رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «النصر أخا ظلمات» أو مظلوماً، فيها: النصر إذا كان مظلوماً، فكيف الصورة طامناً؟ فن: العجوة عن الظلم لأن ذلك نصر... ١٤

والاستعداد العالي يجده في قتل مبدا التناصر، ولك تضار الأمة، وقد أعانه على ذلك الاستعداد الداخلي، أو قل: إن الاستعداد سحر الحكم القوي لإشاعة الفتك والسفك ونشر العار والدمار حتى كانت بعض الشعوب الإسلامية تتفقد ملكة العجوة وعاقبة العاصم وتتناصر، فأصبح أحد لا يلو على أحد ١٥

ولكي نجا لبد من إيجاب مبدا التناصر بين المسلمين جميعاً...

أما المبدا الثاني من أثار الأخوة الإسلامية فتقومه التحاب لوجه الله، وجعل الانتماء إليه عاطفة شريفة تلهم كل الصداقة وتزجج كل قرابة وأناك جاء في الحديث القسبي: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظهم في ظل يوم لا ظل إلا ظلي».



الأعم الاعراب - إلا ما يجب الكفر به من كليات وخرافات ومقتضيات وأنا أزيد  
في تلك كذا .<sup>١</sup>

انني أرى بلباده الكفر ضررًا من الحيوانية أو هي اقرب منه اليس يقول ربى :  
﴿وَأَن تَقْرَءَ الْقُرْآنَ يَجْعَلُ لَكَ الْقُلُوبَ الْحَكِيمَةَ﴾ (١)

وقد تابعت استطلاع الأراء بين جماعات علمية في أوروبا وأمريكا فوايت الكثرة  
الكبرى تؤمن بالله ، ووجدت ثلة متوقفة حائرة ، ووجدت ندرة ناهية زائفة القلب  
لا عقيمة لها .. فلأمرم بأن جمهور العلماء لا دين لهم كليب ، أو شائفة تشمر  
لنقض خيسر !!

إن روى تشقى المروقة كما يفتق الجسم رجبة شبيهة ، ومن مجبة العلم يحيى  
هذا الدعاء ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (٢) ، وعلى المسلم إذا أحب مرصاة به أن يرداد  
تعلما في العلم ، واستكشافا لأفاته .

وما يسمى بالعلم المالى - أعنى العلم الباحث في ملكوت الله - أخرج موضوعا  
ولبيب ثمرة من المفاسد الشروء التي شاعت قديما وحديثا ، ولم تكتب  
الإنانية منها إلا الجيرة والجبل ، والبرور .

أما التقدم الصناعي الذي نعم الإنسان وأراحه فهو خير كثير - زعمه جديده  
بالشكر انجيل ، ثم إن الله تبارك اسمه كي يرضى لهم في الطاعة ، أمكنة اجنية  
وقال ل : ﴿وَأَن لَّا تَجْعَلَ فِيهَا زِينَةً ظَاهِرَةً﴾ (٣) وألكن لا تنفقا فيها ولا  
تفنى (٤) أى لا تكلف الكدح في ربح الشمس ، فتتعب عرقا وحول أولئك  
وراء لقمة العيش .

من قال : إن الإنسان يحب الرعب ولصعب وركوب المشقات؟ إذا كان هناك ما  
يفنى عنها!

والله الذى يتفق من بلد إلى بلد ومن قارة إلى قارة ، وهو جالس في كرسى وثور  
يتناول مياه من طلم وشراب ، يشق العاتية به الجوقا فإما هو بعد ساعات بين أحياء  
(١) الألقاب : ٣٣ . (٢) ط : ١١٤ . (٣) ط : ١١٨ ، ١١٩ .

## ٢٤ كيف يبنى الإسلام المسلم القوي في مواجهة متغيرات العصر؟

لا اظن الإنسان المعاصر يختلف عن الإنسان القدم الذي خاطبه أنبياء الله من  
عشرات القرون ولا اظن إنسان هذا العصر مكانا بوطيعة أخرى غير الوطنية التي  
كلف بها الإس والبن من فجر التاريخ ، ولشى أوصحها القرآن في هذه الكلمات  
الرجية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُنِي﴾ (١)

إنه هو الإنسان لدموى القدم ، الحبيب المواب ، المفضل على مخلوقات أخرى  
غلا البر والبحر ، الذى حمل رحمة أمانة التكليف ، وقدر على الترفع والإسفاف  
والقوى والمجور .<sup>١</sup>

نعم ، هناك أمور جديفة في هذا العصر ، فقد تقدم العلم ، واكتشف كثيرا من  
أسرار الكون وقوة ، وازدهت الصناعة ، واخترعت آلات وأجهزة ونهت الماشي ،  
وسرت للإنسان في طلمات ما كان يعجز عن تحصيله في سنوات .. كما اننى  
الإنسان في صناعات آلات القنك والمسل للعمال حتى لا سمت الحروب تؤلف  
بأنهاء الممران البشرى .. وازدهرت العلوم الإنسانية وفسحت أن تنود العلوم أجمع  
في شتوه الأدبية والاقتصادية والسياسة ... الخ .

ماذا يصنع الإنسان المسلم وهو يواجه هذا الجديد كله ؟ اننى أغيرنى الحسنة  
بالإسلام لا العصر بيقن ما على إقاني أو متعجى في الحياة ، لكنى أسمع بأن  
الإسلام لا الدين الواحد لمواجهة هذا المعمرات آيس عصر العلم ؟ بل ، وكذلك  
دينى دين العلم الذى أملى بالأس أن يبحوا كل شىء ؟ أو أنم يتفروا في ملكوت  
السمرات والأرض وما خلق الله من شىء ؟ (٢)

إن العلم مؤمن لا ملحد ، وهو يدعو إلى الإيمان إلى الورقا وما كثر العلم - في  
(١) اللغات : ٥١ . (٢) الأعراف : ١٨٥ .

وإذا أن نستفيد نحن المسلمين من هذه المراسلات ومن تطبيقها في حياتنا الحياة...

إن ضوابط الشورى هناك نجحت في سحق الحكم العردي . وأعداء سلطات الأمة ، لم لا نستفيد من ذلك؟

وحسبنا المال العام - من المسألة الهزلة في احتلاله ، أو المواطنين الجيبن للصح - بلنت متعنى الفتنة ، ألا لا تنكث القوم في تلك الرسائل الناجمة .؟

لست أجعل أن الدين من علماء الدين من يكره العلوم الإنسانية وما يشا عنها... لأنه يعصر نظري على ما بها من أخطاء ، ولأنه يرى أن هذه العلوم تحدث في نفس الإنسانية وابتدع البشرية ، وقد قال الدين كلمته في هذه التواحي كلها...

ومعاذ الله أن يعمل كلمة الدين في قضية دينية أو اجتماعية إنما تقتبس من جهود البشر ما يحقق الأهداف التي يتفق عليها العقل والعقل ، وإذا سبقنا غيرنا إلى عمل ما يحقق الهدف فنحن أولى به .<sup>١</sup>

هل استمع ديننا عن حق الجند لأه خطبة قارسية ، أو حيلة لم ياقها العربي؟ كلا ، والمضارة الحديثة - بزم مضاميتها الكثيرة - تجاوزت مع العقل والمطوعة في ساحات علمية ودمشورية واسعة ، من حق أن أتروك شرها وأقبل خيرها .

ولما يفتنى إلى هذا أن الدين أصيب بتحديث منه يجهلون جوهره ، ويكرهون للمظهر اللطيف به ، وليس غلباً منه .

سمعت رجلاً يقول يخبر أنه أفتتح أحد الأمريكيين باعتناق الإسلام ، وإن الماثل في ديننا بلغ من تقواه أنه أفتتح بليس الجلباب الأبيض!!

قلت له في أسى وسخرية : هل أفتتح بليس المقال؟ قال : ما ينبغي؟ قلت : ما دخل اللابس في ديننا ، ولأنك لا تترك لرجل يرتدى زيه القديم ، ويعرف الناس من سمته وجوهه ، ويشرف كونه وخلفه أنه مسلم؟

إن الإسلام لا يؤخذ من فقهاء البيرو ، ولا من عسكري الترك ولا من دولابش النصارى!

ماذا كان يعمل إيماننا عندما يهزرون أقلامهم ، ويتنصرون ملازمهم ويتنصرون للحوف في هذه الأسفار الفتنة؟

أبني أن هذا الناع اليسر لنا ما يقصه إلا شكر الله على ما هدى وهدى واستخدمها وعلى المسلم أن يجيد هذه الصناعات الحديثة ، وأن ينفق استخدامها

واستعملها . وأن يتقوى على جن سليمان الدين . قال الله فيهم : لم يعلمون أن ما يشاء من معاريف وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات انعموا أن داود

فكر أو قيل من عجائبي العكبر (١١)

نعم إن الهزلة في تلك الصناعات الحديثة هزلة لا بد منه لإيجاد الصناعات العسكرية التي تحتاج إليها حروب غير رابح والبر.

إنني أكره الحروب ، ولا أفتنى لقاء العدو ، ولكن ماذا أصنع إذا اجتاحت الطغاة ديني وولدي ، ولأنوا إثبات باطلهم وسحر حقني؟ ماذا أصنع إذا كان هناك من يحرق للشار حتى لا يرضى سموا ولا يرى أن يلمسها الجباح؟

ماذا أصنع إذا رعد من ملا من خير الله فعه ، فإذا حدثت من الله رد يده في نفسي لا تخرس من الكلام .؟

لا حل إلا القتال ، ولا يقدر على القتال من يمحز عن صنع أدواته ، وإن الهزلة هنا دين ، والخصر جهاداً وكما يقول شوقي :

الخصر يفي حق السيف شريعة ومن السوم الصلوات دواء!

من ناحية أخرى يجب التنبه بالشلو البعيد الذي بلنت المضارة في التفتيمات السياسية والأوضاع الاقتصادية والإدارية التي تحرك الباطني ، وتوجهها إلى أهداف مرسومة...

إن من وراء هذا الناحج قدماً عظيماً في دراسة العلوم الإنسانية كلها ، حتى كانت هذه العلوم تكون وشريرة ، التي تشرها أوروبا في أحوالها الخاصة والعامة... وهذه العلوم ليست إلا فروع الفلسفة القديمة بعد إدخال المنهج العلمي عليها ، ولا يصحبر أصبح على بعضها ، لأن هناك طوائف في علم التربية والاجتماع والاقتصاد بعيدة عن الفتنة العلمية...

## ٢٥. لماذا كان الحل الإسلامي لمشاكلنا هو الأفضل والأفضل والأفضل؟

الشعور عام بأن الأمة الإسلامية تعاني في العصر الأخير من عطل معقدة ومضلات اجشاعية كثيرة!

كانت حكومة الخلافة العثمانية تسمى «الرجل المريض» ثم ذهب الرجل المريض، واقتسمت تركته حكومات أخرى فهل شفى الحكم العليل وسعت الشعوب الرقيقة، وأصبح الشرق الإسلامي موزوا بحركات الإصلاح وراثت النهوض...!

لا أعظم أن الحاضر ليس خيراً من الماضي، فالسلمون جميعاً والعرب خاصة يترنحون أمام ضربات «إسرائيل» التي أقامت سطوتها على أنقاضهم المادية والأدبية.

ولا يؤمن عاقل أن هذه الحالة تدل على عافية ورسالة لأوضاع...!

إن الرجل المريض عاد مرة أخرى في أشخاص رجال يحكمون أمهم كرواً ويمالجون عليها بجهل أو يستكون الناصحين بكبراً ويفلسفون الهوائم الخفية حتى يبقوا في الحكم إلى أن يقضى الله أمرًا كان معمولاً...!!

نظرت يوماً في برنامج رجل يدعى الإصلاح، كان شويخاً يستمر نفسه بمنابرين منزوعة، فقلت: تجربة فاشلة وسألت سائل: لماذا فطقت: هل يمكن أن نزع الشاي في الشرق الأوسط؟ لا، لا التجربة تقبل البئر، ولا الجوبين على النمو، إنه جهد ضائع! قال: إن الجيش معه، والصحافة معه، و... قلت: لو كان كل شيء معه فالتجربة فاشلة.

قد يملك الأجسام ولكنه لن يملك القلوب! قد تحفه طوائف من المرتزة، ومهارة الكسب الحرام، ولكنه عند الجلد سيفقد كل شيء...!!

لماذا تنسى قرائن ديننا وفنائه الأمل ونملق الناس بتقليد جنس ما، لو ينصائهم عصر ما؟

عرفت «الجزيرة» أسلم وتصرف، وانتمى إلى الطريقة النقشبندية وأشهد أنه كان إنساناً طيباً! أيد أي شيء من أنه سيفتح الإسلام بشيء طائلاً!

إن عدد المسلمين المهاجرين إلى إنجلترا يبلغ للملايين، وهم ضئف اليهود الإنجليز، ولكن أثر اليهود في ميدان الثقافة والسياسة والاقتصاد بعيد المدى، صمق الأثر، يكادون يوجوهون إنجلترا كلها... أما المسلمون الذين يحمل أكثرهم جنسية إنجليزية، فلا وزن لهم في شيء!

إنهم - مثل غيرهم - لا يحلون الإسلام النازل من السماء، وإنما تستبد بالآكارهم وأحوالهم قضايا دنيوية وإضافات ناتية...

إن الإسلام يصفى القلب من الأهواء، والمقل من الأوهام. ويوص صنفين المؤمنين، يعدد في جهاد موصول لإعلاء كلمة الله.

أما مع فساد الفطرة وأعوجاج الفكر، فلا مكان لإسلام...

من علم ، واتباع الأهواء الراسخة من شرق أو غرب تحمل الشر والفساد...  
 إن العرب لا يصلحون إلا بالإسلام وحدها هو الذي أذهب جاهليتهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، والمروءة تعرض له ذنوب فيكبروا ، ثم يفتقروا فيبصر الطريق كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْهَرُونَ﴾ (١) وكذلك العرب قد يفقدون زرعهم حيناً ويهدسهم الشرف والبطر ، ثم تصحرو ضماؤهم فيبتورون ، أو تنقل قلوبهم قاسية حتى تهال عليهم سياط الغزو الخارجي ، ويحسوا الأعداء خلال ديارهم ، وعندئذ يكرههم الندم ويسارعون بالمعصية إلى الله فيقبلهم ويرد لهم الكرة على أعناقهم...  
 واليوم نريد أن نتفحص تراب الهزيمة عنا وأن نستأنف مسيرتنا كما كنا... أمضى كما كان سلفنا الأوائل الكبار...

لا بد لذلك من عناصر معينة لا يصنعها إلا الإسلام.  
 نريد العاملين الذين يوقنون الله في المحاولات ، فلا يكتفون عن واجب ، ولا يتخونون في أمانة ، ولا يتخذ أيدئهم إلى رشوة ، ولا يحشرون عما لهم ويتجاهلون ما عليهم...  
 نريد أساتذة وطلابا يعملون بالمعرفة ، ولتلتون بالبحث ويحترموا الكتاب ، ويرون الدراسة عبادة ، والسهر في التحصيل تهجدا ، ونفع الأمة بأي نوع من العلوم قوية إلى الله...  
 نريد زركا وصناعاتا يتنمون اقتصاد أمتهن كما ينمون ثرواتهم ، ويتركون أن غنى الأمة يجعلها قادرة على صون حريتها وحفظ حقوقها ، وأن الجهاد المالى صنو الجهاد النفسى ، وأن الأم التى تتسول الإحسانات من الدول الكبرى لن تملو لها رسالة ما دامت يدعها السفلى...  
 نريد ناسا يحافظون على المال العام - ويشعرون بحق الله فيه ، وأن الأخذ منه دون وجه حق غرول ﴿ومن يغفل بأن غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ (٢).

(١) الأعراف : ٢٠١ .  
 (٢) آل عمران : ١٦١ .

إن هذه الأمة الإسلامية لا تصلح إلا بدينها وحده ، بعد استكمال العناصر النافعة منه - وفى خطبة - بعد استبعاد الحرافات اللسقة به - وفى ذلك :  
 إن أمتنا بطبيعتها سوف تستعصى على كل حل غير إسلامى ، وسوف تبذل المحاولات الدلمية لإكراهها على مجر أدوية لا تريد لها ، وسوف تتبدد الطاقة - طائفة الشعب والدولة معا - بين الأخذ والرد  
 وفى غضون هذا التناقض الداخلى يكسب الاستعمار العالى معارك ، ويفرض نفسه :  
 وهنا حقيقتان تحتاجان إلى الشرح : الأولى أن الإسلام صدى النظرة الإنسانية ، وخلاصة ما قاله النبيون كعلم كبح جماع البشر وهداية العالم إلى ربه الواحد .  
 إن الإسلام لم يحن ليهد موسى أو عيسى ، بل جاء لإحياء ما قاله ووضع فى شعار الناس ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم﴾ (١) فإذا كان الإسلام رسالة لإصلاح العالم يوحى الله ، فكيف يعجز عن إصلاح الأمة التى حملته وبلغته؟

والحقيقة الثانية أن العرب ما دخلوا التاريخ إلا بهذا الدين ، وما عرفت لهم حضارة ، وثقت لهم قيادة ، وتحقت لهم سيادة إلا تحت راية الإسلام ، فكيف تكلف أمة بنبهان شخصيتها وحضارتها وتاريخها ؟ إن هذا تكليف لها بالاتجارا وتلك هى المهمة القفرة التى ينفذها بعض الساسة المرتدين...  
 إن العرب عاشوا بلا دين أيام آبائهم عاد وثمود ومدين ، فمإذا جزوا ؟ ورجعت بهم الأرض ورجعتهم السماء حتى بدأوا وتطورت منهم الدنيا...  
 ثم اختار الله محمدا وقومه لإقامة حكم صالح مصلح... لمسه القرآن العرى ، ومنهج محمد الهادى اللهم ، وقال الله سبحانه للإنسان الذى ناط به إصلاح الأرض : ﴿و كذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق﴾ (٢) فكيف يكلف أحد أتباع محمد بترك ما لديهم

(١) الرعد : ٣٧ .  
 (٢) صافات : ٤٢ .

من مصادر الإسلام المعصومة ، والواقع أن المواقف دون تحكيم الإسلام خلقية لا علمية ، وإن الحل الإسلامي يبرهه أهل الذكر ، ولكن إيمانهم مقصور بمرسوم ... إن «الراكية» في الصين وروسيا ، شكوا من تحكيم الفرد ، وبع أن ينظمهم بطبيعتها استبدادية ، فقد قرروا أن تدور شئونهم في وسط جماعي . يتم فيه تبادل الآراء والبحث عن العوالم .. وأسوة الدول الأوربية تأتي أن يستسب إليها إلا أحكام «الديمقراطية» .

ليس هناك إلا العالم العربي والإسلامي الذي يعيش وحده في ضياع من المعادى والشرقات ، إنه وحده دون أنظار الأرض كلها هو الذي يقول فيه حاكم : صانع القرار .. وهو وحده الذي يسبح فيه أن الحاكم لا يسأل عما يفعل !! إن الإسلام غريب في هذا الجو الأسن الكريه ، وأطلق الإسلامى لا يؤخذ من آفواه الجهال والكذبة .



زيد حكاماً لا يميلون أنفسهم يتبرون من جنون العظمة وشهوة السلطة ، ويعززون كل كل رأس يحيى ، يوم القيامة مغفلة يده إلى صفه ، فلكه عدله أو لوقته جوره كما جاء في الحديث الشريف .

إن حكام المسلمين من زمان قريب أدوا لله ورسوله ، واستجلبوا شعوبهم حتى نبتت أو كادت خصال الإباء والأئمة ، ليلول إخوانهم لن أمير الله وأمرائهم لن أول الله !!

إن الإسلام وحده هو صانع هذه المناصر لشي لا تتم لنا حياة إلا بها ، والآخر كما قال الله : ﴿إِنَّا لِلَّهِ لَا يُبَدِّلُ مَا بَدَّلُوا حَتَّى يُبَدِّلُوا مَا بَأْسِهِمْ﴾ (١)

ربما استطاعت أم أخرى أن تعيش قصيرا أو طويلا وفق طامعات مادية أو خلقية لا صلة لها ببسما لكن استنار تحول مزاجها ركنها إلى جهاز فريد لا يبدور فيه إلا مفتاح واحد هو الإسلام ، وستعجب جميع التحولات الأخرى سدى ، لا محالة . ثم من أهل الملل والأفكار ترك دينه؟ لقد أقبل اليهود في موكب تظله صحائف التوراة والشمود ، وبقدمه صخب من مواشير آل داود ، ورأى الناس بين الفطيرين الشعالي ، وأخبرني هذا الولاء الدنيى لمصاف فما أنكروا له صيغة ، مع أنها صيحات جزائرين ، وديست مدتنا وقرانا فما رثى لنا أحد !!

فهل كل ولاء مقبول إلا الولاء للإسلام؟ وهل كل حل حسن إلا الحل الإسلامى؟

لقد أن الأوان ليخفى إلى الأبد أولئك الساسة العرب الذين يكونون الإسلام ، وطلوبون من أمته أن تدبر شؤونها لكاتب الله وسنة رسوله ، الواقع أنهم ثوروا أكثر عا يطاق ، وطاق بأقوام أكثر عا ينبغي ..

على أن الحل الإسلامى التمدد ينشئ عليه من التزوير في أيام اعتقلت فيها الحقائق ، وتغير ألقبون الكفنية على التزوير ، وتصور الإسلام ديناً لا يحترم الشورى مثلاً ، أو لا يعترض استغلال الفرد ، أو لا يحترم لنفس الجماهير ..

إن الحل الإسلامى ، لا يحتاج إلى عقيرة في قصوره وتصوره ، لأنه سهل المأخذ

## ٢٦. ماذا صنع الإسلام لخصف العقل

### والنفس والمال؟

كفى للنفس أن تكون المعابد أقرب إلى شئون العيب عنها إلى دائرة النطق ، لكن أرى غير هذا ، فانا أنادى إلى الصلاة لا بدقات طبل ولا بزيارات إنذار ، وانا صوت يهتف من هتفي .<sup>١٠</sup>

ونحنما انصرف من صلحي لا أجرى إلا بما عقلت نبها

والنفس الذي استعنته قام على معجزة عقلية ، تنوحي في الله واحد في الأرض ولسماء له ، فهو كان فيهما آية أو الله فسمعتا فسبحان الله رب العرش عفا بعقولنا<sup>١١</sup>

وفي القرآن مثل الآيات التي تحدثت عن العقل وطاقته والأساليب الصحيحة لاستغلاله ، ويعد عن الأرواح والعقولنا

وقد أصبحت في مقال في ست عشرة آية تنوحي بالأساليب ، ودرى أنهم هم الناس حقاً وهل الإنسان إلا عقله ؟ ما أصدق قول المتنبي :

نحو العقول كنعناني شفيهم أقضى إلى شرف من الإنسان

ومن أجل ذلك يرى الإسلام ضرورة جعل العقل وتوسيع آفاقه وزيادة إشراقه بأنواع العلوم والتجارب ، إن الأعمار المعقولة للناس تنقص أو تزيد وفق ما يفتقدون من تجربة ويتلقون من تعليم .

والغنى أن الأم تتعلم أو تتاجر بتعليم أبنائها من العلم وفدريها على تحريكه إلى حجارة مشيرة . ولعل الصحيح هو لئلا يقرأت الله في الكون كما يقرؤها في المصحف . أما التعليل العقلي فستارة تملد على الجهل والمليون فلا تكشف سرا

(١) الآية : ٢٢ .

ولا تدعم حقاً هو أنهم يسبحوا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يستمعون بها فإنها لا تسمى الأصوات ولكن تسمى القلوب التي في الصدور<sup>١٢</sup>

إن الأم المتخلفة عقلها كالأطفال الذين لم يتلقوا العلم يرضون في رصانة الكبار حتى يتفهموا روياء كرميت الأم المتخلفة هذه التزوية الهيبة بيد أن سن الله الكونية تفرض نفسها طوعاً أو كرها .

وقد رأيت عابدين في الككلام - لا في قلماتهم - قصور فسمعت بنية الأمل ، لأن هؤلاء العابدين كانوا يناد على دينهم ، ودينا ضرره من حيث أروا قنعه ، لأنهم كلبية التي قتلت صاحبها .<sup>١٣</sup>

يعمل العقل خلال مراحل الدراسة للتبانية ، ويعمل العقل بالمخاطب على سلامة الجوارح ، وواقية البدن ، ويحفظ أوزاره السكرات والقدرات والتعديلات التي تتكلم من روى البره وكرامته ، ويحفظ قبل ذلك ويعد باستفهام الرشد واستعداد الفروقه سبحانه<sup>١٤</sup>

وقد ولدت في ذلك كله توجهات من الكتيب ولسته يقول سرهما .

ونتقبل من صون العقل إلى صون النفس . إن احترام الإنسانية كلها يبدو في احترام فرد واحد قال تعالى : ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ... ﴾<sup>١٥</sup> وجاء الإسلام فجعل النفس الإنسانية أقدس من الكعبة الشرفة ومن الأشهر الحرم قال عليه الصلاة والسلام : « ... إلا وإن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم ما يؤمنكم هذا في شهر كرم هذا في بلد كرم هذا ، ألا هل بلغت ، فإني والله قال اللهم فانيهده ، ثلاثاً ، ويكفي لا ترجعوا بعدي كفراً يضرب بعضكم رقاب بعض ... »

ونظر عبد الله بن عمر إلى الكعبة وقال : « ما طيبك وأطيب ربحك ، وما عظمك وأعظم حرمتك ، وألوأمن أعظم حرمة عند الله منك ، حرمة دمه وماله وعرضه . »<sup>١٦</sup>

وعنقضى الإنسان ألا يكون المؤمن مصدر إفراخ أو ترويع لشربه ، ومن جوارح الكلام

(١) الجمع : ٤٣ . (٢) الآية : ٢٣ .



وذلك امرنا بتأنيده وتوبيخه ، وفيها عن جعله بين أيدي السفهاء ، فلا يحسنوا التصرف فيه ولا الإفادة منه قال تعالى : ﴿ وَلَا تَوَلَّوْا السُّفَهَاءَ أَمْ أَرَأَيْتُمْ أَفْعَالُ اللَّهِ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ (١) .

ونظرا لما للحلال من أثر خاصة وخاصة طلب الإسلام من صاحبه أن يرد عنه عنوان الفاسقين ولو بذلك دونه دعاء روى النسائي عن مجاز بن سلم الشيباني أحد الصحابة قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، الرجل يأتي ليأخذ مولى ؟ قال : ذكره بالله قال : وإن لم يذكر قال : فاستعن عليه بين مولاه من المسلمين قال : فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين ؟ قال : فاستعن عليه بالمسلمين قال : فإن رأى السلطان فني ؟ قال : فقل دونه ماله حتى تكون من شهاده الأخرى ، أو تمنع ماله ، فحسبه .

وقد روى مسلم في صحيحه حديثا يؤكد هذا المعنى ، ويحكم بالتهادة لمن قتل دون ماله !!

وإذا ذكرنا ذلك لعرف المسلمون قيمة المال ، وضرورة حفظه ولتدبره عند تروى أيومي الشايع بهذه الاستمالة في شيء ، فانه ؟ كلا كلا . . . إنه أولا خطورة المال في الحياة الخاصة والمالمة فالنفس القاتلة دونه .

ومضى إيجاد المال وكهنته إيجاد متابعيه وتفتريها ، وهل متابع المال إلا الضرب في الأرض ، واستغلال ظاهرها ، واستخراج باطنها ، واستشارة البير والبحر لجودها بخيرات الله المودعة فيها ؟

وإننا إن المال سلاح ذويع ، والسلاح لا يصطاد أو يملك للثراء ولكن يصعد في يد السحاج الدافع عن حقوقه ، ويذم في يد الظلم المعتدى على غيرنا ، إنه وسيلة إلى أجنحة أو إلى النار ، بطريقة استخدامه فو قافنا من أغفل وانقضى ﴿ وَضَافَ بِالْحَنِّ ﴾ ﴿ فَتَسْتَبِيرُ لِلْعُرَى ﴾ وأما من يعجل واستعنى ﴿ وَكَلَبَ بِالْأَعْيِ ﴾ ﴿ فَتَسْتَبِيرُ لِلْعُرَى ﴾ وما ينبغي عنه ماله إذا تروى ﴿ ١٧ ﴾ !!

(١) سورة هـ (٢) النازع

لرسول الله ﷺ «الإيمان لله النفس لا يشك مؤمن» يعني كسا تربط الأغلال يدي الرجل فلا يقدر على عمل شيء ، يتقيد الإيمان يدي المؤمن فلا يعتدي على نفسه ، المؤمن يعرف من أن يملك بأحد . ١ .

وفي الحديث كذلك : قلن المؤمن اعظم عند الله من زوال الدنيا ، لو أن أهل السماء وأهل الأرض انشروا على دم مؤمن كجهم الله في النار .

وروى الإسلام من المحافظة على الحياة أن يعتنى المرء بصحته ، ويكمل أسباب عاقبة ، ويقيم مولده . وأفضاءه ومآثر بدنه ، فإن الدين لا يقدر على أداء الواجبات لماضي بشي الأعداء من أجل النعم . ١ .

وقد كان من أفعلية للنبي ﷺ : « اللهم استمنا بسما سعديا وبسورنا وقورنا وما احسنه ، واعلموا انوارا وما أن استمنا ما ملأت الأرواح في الإيجاد حتى إذا متنا خلجانا في أبنائنا نورنا ، بدل أن نورنا ونعم على ظهر الدنيا . .

ومن المحافظة على الحياة تروى الأمراض ، وتناول الأدوية وقد رضى عمر السمر إلى أرض مبرورة بالظالمون أقبل له : نفر من قبر الله ؟ قال : امر من قبر الله إلى قبر الله !

وقد أصاب أسير المؤمنين السنة ، وأخذ كلمته أحد العارفين فولد منها هذه الحكمة : المرء كل الرجل من يطلب قدر الله بقدر الله .

إن الله عهد للإنسان السبيل ، وعلية بعدد أن يقدم لا أن يحجم ، ولها معنى قول الله في ذي القرنين ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا ﴾ ﴿ فَاتَّبَعَ سَبِيلًا ﴾ (١) .

إن النفس شيء عقال ، وقد كرمها الإسلام فلم يهينها ، وراحها فلم يهينها حتى تولى في الحياة وسلطانها .

ومضى بعد النفس المال ، وهو قوام الحياة الشخصية وخاصة ، فمما من أحد يستغنى عن المال ليطمح ويطمح ويقتوت صيته ، ويهيون مروتة ، وما من أمة تستغنى عن المال لتحكم كيانها وتدير مصالحها ، وتستبقى ذاتها .

(١) النجف : ٨١ - ٨٠ .

## ١٧٠٢ دور الإسلام في ترشيد الضمير الإنساني؟

نظرة الإسلام الأولى إلى القلب الإنساني - لو التفسير كما يقول علماء الأخلاق - فإن رسالة هذا القلب من اللئل ولبات وجهته إلى الخير ، تضي الكثير من توفيق الله ورضوانه ، قال رسول الله ﷺ : «إن الله لا يهدي القوم الهدى» .

إني أظنكم وأعماكم ، التفتوا ههنا القوي ههنا ، ويشير إلى صدره ..  
نعم فالصبر المنبج بالحق ، المستقر على النهج يقين على المتيقن والجليل ، ويضج طابعه الظهور على كل شيء وقفته بركات الله ، لأن صلته به قائمة دائمة ..  
ونحب أن نسوق أمثلة تبين كيف يكون القلب سليما أو كيف يكون الضمير نقياً ..

المرء في طقوته وبغاعته قد يحب الظهور ، ويسره سماع الناس عليه ، وقد يبذل جهوداً شاقة في هذه السبيل .. إن الغراء ليس مستغنياً على الطبيعة البشرية ، فإرضاء الناس هدف حقيقي في المراحل الأولى من العمر ، ثم يكبر المرء وتسمو نظره ووجهه إلى الله ، إن المرأى لا يرى إلا الناس ، فهو يعمل لهم ، أما الخالص فهو يرى رب الناس ولذلك يعمل له .

وتعبد الذين همما التسامح ، فهو يرضى بتحقيق العمل لله ، لأن الإنسان إذا اشرك الناس مع الله في طلب الرضا رضى الله عمداً

إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له وحده ، ومن ثم ترى المؤمنين حقا يجسد عمله ووقته وأوجهه ، سواء رآه الناس أم لم يروه ، وسواء أثنى عليه أو ساءوا لم ضاعوا به ، إنه يعين الصنيع على أية حال رضى أي وضع .

والإنسان بطبيعته يحب أن يكافأ على عمله مدياً أو أدبياً ، وربما تترك العمل إذا لم يجد له جزاء عاجلاً ، وقد يتراجع فيه أو لا يكترت بإجافته إذا كان الجزاء قليلاً أو مؤجلاً .. لكنه إذا صدق يقينه أحسن أداء وأجماً وأخيراً ثوابه عند ربه ، وقد ما يقينه في اليوم الآخر أفضل وأرضى .. !

وقد نطر بعض الجهال إلى تلك في أيدي الأشرار ، وكروه لأنهم يستعينون به على الخنجر والفساد ، ثم شرعوا ينظمون قصائد طويلة في هجاء تلك ، وحسن التغلبي عمداً حتى وهم المومنان لأن الله شر في كل يد ، وأن ليمد عنه غيصة . !!  
ومعنى ليمد منه الجمد من مصادر كسبه ، وأساليب التثاقل ، وشاغ هذا الفكر الغريزي بين الجماهير ، فإذا المسلمون من بضعة قرون لا يحسنون استخراج مدمن من الأرض ، ولا إيجاد صناعة من صناعات الإسلام أو الغربا

وإذا هم يحسنون المعاملة تقوى ، والافتقار في الدنيا هو الاقتناء في الآخرة ، وسجلوا في بعض كتب السنة والمعرف أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر !!  
ونشأ عن هذه الجهالات السائدة في مصادر الثقافة الدينية انهيار شامل للعالم الإسلامي لأن توابيه الدينية والدنيوية تبليت وفست ، حتى الأقطار التي رزقت سعة في ثروتها تسر لها ذلك من جهد الأجانب في تحصيل خيراتها واستخراج كروتها .. !!



وحزن العظمى وقت الانتظار إن الشخص الذي لا يعمل أو لا يجد عمله إلا ابتغاء ثناء نفسه ، أو مال ينفقه لن يعمل شيئاً طائلاً إذا انقطع الثمن ، واعتد الناسا ومنع هذا أن الحزن عنه غرض عابر لا باعث أصيل ، إن قلبه في الحقيقة ناسب من حب الحزن والانتفاع للآخر ، لأنه لو قلب غير سليم .

ربما خملت القلب فطلعت دينا إلى مال أو جاه ، بيد أن الإيمان يطاردها ويقتضي الضمير بشيئا يره مؤثرا له وهما معنى قوله تعالى : ﴿ من خفي الرحمن بالغيب وجهه يغلب غيبه ﴾ (١) أظفرها بسلام ذلك يوم الطوفان (١)

إنه ليس غريبا على النفس أن تحب المال واجله ، بيد أن هذه الغيبة يجب أن تنهزم أمام وجه الله وأرقاب جدنا

ولو قربنا من أسباب الرزاق التي تفر كذا الأم أرحمها تلك الضمائر اللينة ، تلك القلوب التي تيسب ، فهي لا ترضع بل ولا تعيش لقبيلة ولا تمشي من قبح .

وقد ذكرت السنة الشريفة أمثلة للصغير الحى عندما يتغلب على الثمرات وتغرم الوساوس ويسبح بقوة ضد التيار وينجز (١)

فمن أبى خرفى الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة يحسبهم الله ، وثلاثة ينفقهم الله .

فأما الثلاثة الذين يحسبهم : من رجل أتى قومها فسأهم بالله ، ولم يسألهم بغيره ، وبينهم فتنهمو فتنخلف رجل بأعداءهم ، فما أعماه سر ، لا يعلم بعقوبته إلا الله ، والذي أعلمه .

وقوم سداوا بينهم حتى إذا كان اليوم أحب إليهم وما بعد به فليسوا المقام رجل يعقبن ويقتلوا يا بني ...

ورجل كان له سرية فلقى العدو فلهزم هو ، فأقبل يصدره حتى يقتل أو يقتله . وأما الثلاثة الذين ينفقهم الله ناشيخ الزنا ، والتغير المعتدل ، والعنى الظن ...

وأنه لو أن الثلاثة الآخرين كانت قلوبهم - فستمرروا الزنا مع ضعف الأسباب التي تدفع إليها .

(١) ق : ٣٣ ، ٣٤ .

عمل الصغير هنا تثبيت اللز على الوفاء بما عليه ولو غمضه الناس ، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال للأصغر : انكم ستجدون ثمره بعدنا قلنا : فما تأمرنا؟ قال : انورا الذي عليكم وسوا الله الذي لنا (١)

لواجب يؤدي على وجهه الكامل ، وحسابي على الله والأمر له . ١١ .

إن الإيماء إلى السماء يجب أن يكون بدوئع ذاتية ، غايها استرضاء الله وإن جحد اطلق (١) الذي يؤتي ماله يوتي (٢) وما لأحد بعده من نعمة يوتي (٣) إلا أبقاه وجهه به الأقبل (٤) وتوفى يرضى (٥) .

قال الزورخون : لاحظ صلاح الدين وهو يقتل المسلمين أن النار انصلمت موزين في معسكرات الأعداء مختلفة زوايا للدمار واقتلوا ونبضا هو قرب جهة العدو لاحظ أن النار بدأت تشتعل ، ووزن القصار - بعد ما بدأ الحريق - يتجه إلى جند المسلمين ، فلم يفرح به ، فلما مثل بين يديه قال له : ما اسمك؟ قال الرجل : يلهمه الله قال له صلاح الدين معلنا : إني زيد مكانكنا قال الرجل : لو أدت المال ما جيت هنا ، وانصرف لثان (١)

هنا جندى يحمل خضر الرضى ليقابل في سبيل ربه ، واكتفى وهو يتأمل العدو ينظر الله إليه ، فلما استدعاه السلطان كره أن يتألم على جراحاته فثما . . . حسيه ماعند الله (١)

والحق أن اتحصل المسلمين ، وفتح بيت القدس ، وكسر حدة الفمارة الحاقدة ، وجح طول الأنة للبرقة كان من ورائه من ذوى الضمائر الوصولة بالله لراغبة إليه ، قامت بمهلها في صمت ووزنة وعفة . . .

لعل السلطان نفسه كان يقضى الطريق لهذه القلوب الطيبة حين قرر أن يشارك في حمل الأحجار على عاتقه بكرة وأصيل ، ولو شاء ، لأصدر الأوامر وأرقب الملقين ، إنه لا أبى إلا أن سيد القبول وشيد الحصون بنفسه مع جيشه (١)

وتشبه حارة القرآن في وصف هذه الضمائر الحارة من العمل قال تعالى : ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون ﴾ (٢) إلا من أتى الله بقلب سليم (٣) . . . سليم من أضرار النفس

(١) الصغير : ٨٨ ، ٨٩ .

(١) قل : ٨١ ، ٨٢ .

## ٢٨. ما موقف الإسلام من العنصرية السائدة

### في بعض الحضارات ٩

ظهر خلال هذا القرن لرؤسم الألمانى هتلر رؤسم أن الدم الأرى أرقى من غيره ، وأن الشعب الألمانى بطبيعته يخرج غيره من الشعوب السامية - يعنى اليهود والعرب وأشباههم - ويقول هذا رؤسم إلى عقيدة تساند مشاعر الكبرياء وزوجة السيادة عند الألمان زمن على ستواهم .

ومعنا كلام خرافى لا وزن له وإن كان رؤسيا لا فى نفس الألمان وحدهم ، بل فى نفس الأوربيين وأولاد الجيش الأبيض صموما !

إن بنى آدم من ناحية الخلقه يستورون فى أنهم فئقة من روح الله الأعلى حلت فى أغلب من ترب منه الأرض ، فليشركهم يتبعهم أصل واحد ، ويجمعهم نسب مشترك . قال تعالى تلك الخلقان : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَرَفَعَهُ فِي مِيزَانٍ﴾ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تتذكرون ﴿١﴾

لا فرق بين جلد أبيض أو أسود أو أحمر ، إن هذه الألوان المختلفة تشابه ما تراه العيون من اختلاف فى لوان الأجزاء والورد ، ولا دلاله على عراته أو خلقه .

بيد أن كثيرا من الناس يروهم أن يختلفوا من عند أنفسهم هذه الفرق ، وأن يقيموا حولها عصبية ، وأن يحملوا لها وزنا خاصا فى التقدم والتأخير ، وتقول والرفض !

وقد رأيت البعض يتشبه بهذه الأوهام لأنها رجحت كنهه يوم جهلها ومنحه

ومن صود للفسائل الحية ، ما ذكرته أحداث أخرى ، عن الرجل يقدر على الحاجة ، ولكنه يدوس مفرطها ، ويستبقى نفسه ظاهرا ، ويملكه بالله راحة . ومعهرة هذا الرجل الذى استأجر عاملا عنده ، فأتى وأجبه ثم عرض له ما صوره قبل أن يأخذ أجره وبعد سنين طوال رجع العامل يطلب حقه الذى تركه من زمن بعيد

كان رب المال ، قد أدر الأجرة فى عمله فتمت حتى أمنت ثبوته فلما جاء العامل أسأله الأصل وأمناء ، و العامل مدعونا

إن الإيثار يقع ضوابط صلبة للسلوك ، ويجعل من القلب دينا صاحبيا يروى المغفور وأولاديه ، فلا حيف ولا فوضى ١٠

ويشع الأنظمة تجعل من سلطان اللدوك شيئا رديئا يحمل الناس حملا على العمل ، والأحقا نفل ثم ثالث لا ، لأنه ليس فى مقدور نظام ما أن يضع شروطا مع كل عامل فى الأرض أو فى السمع لينشط ، ومع كل مغاول حتى لا يعيش ، ومع كل طبيب حتى لا يتهادون ، ومع كل تاجر حتى لا يستحكر ، ومع كل رئيس حتى لا يستبد ويظلم .

وإذا خان السرطى فهل نجى له يشرط آخر ؟ قد يقال : إن رفح المستوى العقاقى وتغيير الكبار والمصار ما ينجى وما لا ينجى يمكن أن يقع هذه التحولات .

والواقع أن الجرائم الكبرى لم يتغيرها إلا صغرونها على خط كسره من المروءة ، وأن الصبح للعقل لا يستأثر الطبيعة والإخلاص والشرف ، كم من أذكاء أسابوا إلى أنفسهم وأهم ١١ . فأنارت من أعينهم مواءة وأقبل الله على علمهم وفتح على سمعه وقلب وجعل على بصره عشاره فبين يديه من بعد الله ألا تذكرون ﴿١﴾

إن القلب النقي ، المصور على الحق الجريص على الشرف ، العامر للأدوة ، الحبيب للناس لا يصنعه إلا إيمان وثيق ، وخلق بالله روحه .

والواقع أن حديث القرآن عن الله سبحانه وتعالى ومن تايده المائمين الطويل ، وعن أئمة والمسلم والقرآن والعقل وما شرعه الله سبحانه من عبادات كثيرة ، إن تلك كله عناصر لفهمان سلامة القلب ، وإيمانه الثابت إلى الحق والتقى .

والعلم اليوم ينظر إلى مواعيد الحرب أمام اليهود ، ويتسم سائرا .<sup>(١)</sup> وقد كان أباه  
أبوئكم المؤردين يستقرون الجبل اليهودي وتبرون منه ، ويقولون لنسبهم في أول قتال  
له مع الوثنية : لا تقول لك ما قال بنو إسرائيل ليرسي : انصب انت ورك فقتلنا إنا  
ما هنا قاصدينا

بل انصب انت ورك فقتلنا إنا محكمات مقاتلون ، إن خضعت بنا ههنا الجحير  
خضعت معه ، ما يخالف بنا أحدا!!

إن الإسلام بين أن الأوفد والأجاسي يستقرون يومهم وعلمهم بأنفسهم ، وهم في  
سباق متفجع يتقدم فيه من شاء ونشأ فيه من شاء لا مدخل للرب أو عرف ،  
في أنها لإحدى الكثر (٢٥) ننموا للبشر (٢٦) بل شاء بكم أن يتقدم أو يتأخر (١)  
نقد يستقن الأسود في الدنيا والآخرة ، أو يقع العكس ، وقد ترجع كافة رجل من  
سواد الناس ، وتطيش كافة آخر من أبناء الرسل ، أو العكس (٢) والأوفد يوقد أفعق  
فمن يقلت موازيتهم لأوتك هم المتفخرون (٣) ومن خفت موازيتهم فأوتك الذين  
خبروا أنفسهم بما كانوا يأبأنا يظنون (٤)

وجاء في السنة أن النبي ﷺ فيه قومه : لا يأتيهم الناس بأسماءهم وتأتون  
بأسماءكم وقال : أمن أيضا به عمله لم يسرع به نسبه ، وهذا مصداق الآية الشريفة  
في أنها لنفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون (٥) وقال تعالى :  
في لكل درجات بما عملوا وليرزقهم أسماؤهم وهم لا يظنون (٦)

وع كذا ما به الإسلام إلى مبدأ (١) أن أوتكم عند الله أنفائكم (٢) لوحظ أن  
العرب يخالون مخالاة منكدة بالانساب والحريف ، ويجعلونها محور تقدير جلال  
ومصيبة أصبا .

الاربعة مئة فاقية ، وكلمة فلاح لأمري تارة الرتبة ، وقد كان القزاق يهجمو  
جبريا بأن أباه حدادا<sup>١</sup> أما هو فإن الذي مسك السماء بني له بيتا وعالمه أعز وأرفع

في ٩ بغير شيء<sup>٢</sup>

(١) الأعراف : ٩٠ ، ٨ .  
(٢) الأعراف : ٩٠ ، ٨ .  
(٣) الأعراف : ٩٠ ، ٨ .  
(٤) الأعراف : ٩٠ ، ٨ .  
(٥) الأعراف : ٩٠ ، ٨ .  
(٦) الأعراف : ٩٠ ، ٨ .

شرفا جملة - دون حركة - يستحق التأشير ، إنه لنشي عظيم أن يحسب المرء سيما  
لأنه يكون في بطن معين ، ونشأ الناس من ماء معين ، أما هو فمن ماء شريف .  
إنه - مع استحبابنا القوانين الرواثة - نقرر أن الرواثة لا تشي عطية ولا تكسب  
بجهاك ، فهناك أنبياء من أصلا ب كورة ، وهناك جبار من أصلا ب أنبياء ، وقد كان  
أبو العلي سامورا مغلفا من لب لا يعرف شمرا ولا تبرا ، وكان أبو العلماء فيلسوفا  
مستغلفا من لب لا يدري شيئا من الفلسفة ..

ثم إن روافد الرواثة غامضة السبع ولكن في أبناء الجبل الواحد ، وكيف إذا  
تكاثر في الأجيال ، ومن ثم نعرف الكتلة المروية عن امرأة جيلة أعبت عقرها دميما  
ومرضت عليه الأزواج ليتجبا إنا يرث جملها وذلك ما فقال لها الرجل : أنحي أن  
يرث ضاروك ودماعي!!

إن القول بأن جيسا ما ذكي بأصل الخلقة ، وجيسا آخر غبي ، بأصل الخلقة قول  
فيه أدهاء ظاهر ، إن ظروف البيئة هي التي تصنع الأعاجيب ، وهي التي تنمي  
الزواجب أو تقتلها ، بل هي التي تحي الموتور أو تقيها .

والنفس الأبيض الذي يصر غرب أوروبا وشمالها ، والذي يفرش وصاحبه على  
العلم كله ، كان أياما طويلا يشتهر بالغباء والأهمل ، وقد تقلنا في كتابنا مع  
الله كلام المشرق فليب حتى من تأخر الأوربيين المصمري ونفوق عرب  
الأندلس عليهم ١٠٠٠ في الوقت الذي كانت فيه جامعتهم فأكسفورد تزي  
الاستخدام عادة وثنية ، كانت الأجيال من علماء ، وطريقة تتنوع بالاستخدام في  
مؤسسات فائقة . . . . . وبشأن على موقف العرب جبال بزاوية الشمال - هكذا كان  
أبازا يسعون سكان أوروبا - ولكنهم عنهم ما ورد في كلام عالم وظيفية ، صاعد  
الفاضي التركي سنة ١١٧٠ م فقد كتب عنهم : أن إرطاط يعد الشمس من مسافة  
دوسهم برد هواءهم وكشف وجوههم فصارت لذلك أكرجتهم باردة وأخلاطهم  
نحبة ! فغطت أباياهم وأبيضت أكرانهم واستلست شعورهم واندمت دقة الأنفهام  
وتقرب الجواهر ، وعلب عليهم الجبل والبلادة ، ونشأ فيهم العمى والعمى!!

أرأيت هذا الوصف ؟ إنه لأمل أوروبا الذين يتقنون العالم الآن ، وليس اليهود  
أو الأرواح أو العرب . . . أو بقية العالم أجمع!!



قد يفهم من ذلك أنى أحارب الغناء والموسيقى والترويح عن النفس... لا ، ولكن الخطأ أن الأمة العربية والإسلامية تريد أن تعمل قليلا وتشتي كثيرا ، والاستجمام حق المرحومين لا حق المفاخرين<sup>(١)</sup>

أما الغناء كغلام ، حسنة حسن وفيه قبيح ، ومن غنى أو استمع إلى غناء شريف المنفى طيب المنفى فلا حرج عليه ، وما تحارب إلا غناء هابط المنفى والمن.

لم يرد حديث صحيح في تحريم الغناء على الإطلاق ، وقد احتج البعض بقوله تعالى : **وَمِنْ النَّاسِ مَنِ اشْتَرَى نَهْمَ الْخَبِيثِ لِيُجْعَلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بَغِيرٌ عِلْمٌ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** (٢) وإذا قيل عليه آياتنا فكيف يستكبر أن كان لم يستمعها...<sup>(٣)</sup>

ولمصرى أن من يشتري جسد الخبيث أو لهوه للأسياب المذكورة في الآية جدير بسوء العقاب ، أما من يبيع أصصا به الكدودة يصوت حسن وليس جميل فلا علاقة للآية به ، وكما يقول ابن حزم : **لو اشترى مصحفا الإجمال فهو محرم** .

ويبدو أن اثر إن الغناء يبعث الغرمان من خير وفحش ، وما يحتاج من البيئة الفنية من محل ، هو الذي جعل هدفا من العلماء يحرمه ، ولأن هذه الجملة من الرقائق يشير حديث البخاري إلى من يستحبون الحر والخير والغمر والمعارف ..

يبد أنه ليس من الضروري أن تجتمع هذه العناصر كلها عند سماع أغنية . وعلى أية حال فإذا كان الغناء مقرونا بتلك الغرمان فهو مرفوض ، أما إذا برز فيها فلا شيء فيه .

والموسيقى كالغناء وقد رأيت في السنة أن النبي ﷺ مدح صوت أبي موسى الأشعري ، وكان حاربا ، وقد سمعه يتغنى بالقرآن - فقال له : **لقد أوتيت من مدحهم من مدحهم أن داودا ولو كان المزامير آلة رديئة ما قال له ذلك** ..

وقد سمع رسول الله صوت اللقي والزمار دون تحرج ، ولا أذكر من أين حرم البعض الموسيقى ، ويتر من سماعها<sup>(٤)</sup>

(١) لقمان : ٦ ، ٧ .

إن الله تبارك اسمه يعطي الفضل ولا يطلب إلا الاعتراف بالجميل ، فهل هذا ممن فاحج ؟

يسئل أن نلصق كسيتين يبرز عليهم دفع هذا الشئ **فَوَقِيلَ مِنْ عِبَادِي الْمَكْرُوهُ** (١) .

على ذلك الأسس أنظر إلى ما قدمت المقدمات قديما وحديثا إنه - كما علمنى الإسلام - ليس لغيري ، ليس لغيري ، ليس يقول الله : **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ خَلَقُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا** (٢) ؟

ومن ثم فالأصل في الأشياء الإباحة ، ولا تحريم إلا بعض قاطع ، والواقع أن تقار من سوادى المزاج ألبوا بالتحريم ، وبهتاجهم في الحكم على الأشياء بخلاف متبع نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام الذي ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن أشدا ، فإن كان أشدا كان أبعد الناس عنه ، روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : **لا تشبهوا مني على أنفسكم فيشدد عليكم فإن لم تشدوا وعلى أنفسكم تشدد عليهم ، فلتكن بقاياهم في السوامع والأقفور ، رهينة ابتعوا ما كتبها عليهم** .

وقد أشاعت الدنيا الحديثة طرائق والتأثيرات ، وغيرهما من الأجهزة القائمة للثقافة والملاهي على سواء ، ومعروف أن هذه الأجهزة أدوات غير مسئولة عما يصدر عنها ، وإن السورلية تقع على المؤلفين والفنانين والمخرجين ، فهي استطاعتهم أن يقدموا التائق ويحبوا الفن...<sup>(٣)</sup>

لقد كان من السعاليح أن تتوسل بهذه الأجهزة لإشاعة اللغة السليمة وتذوق الأدب الرفيع وحماية الأخلاق ، ودعم التقاليد الغاضة ، بل كان من الممكن أن تبرز الأوف على إقتان حرك تحن محتاجون إليها ، وأن ترفع مستوى الأداء لاعمال كبيرة ، فإن الجلالة السارة والقيمة فتتلك لدينا بأصل الناس .

كان من الممكن أن تحارب عادات ضارة مروجة أو مستوردة انتشرت بيننا وأوقعت سريتا ، إن رسائل الإعلام لو أحسنا استغلالها لتصح الكثير ، ولكن ذلك لا نستطيعه إلا أنه نحس أن لها رسالة في الحياة ، أما الأمة للذين فقد سقط عنها التكليف لأن غيرها يشهدنا .

(٢) لقمان : ٦ ، ٧ .

(٣) ساء : ١٧ .

وروى الترمذي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : «انقطع كبرياءه في سبيل الله»  
البناء لا خير فيها

وأخرج دارقطني عن أنس أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : «أما إن كبرياءه وويل على صاحبه إلا ما لا بد منه» .

من عبد الله بن عمرو بن العاص قال : عرض رسول الله ﷺ وأنا ألهن جانيلاً من خصي ، فقال : ما هذا يا عبد الله ؟ فقلت : جانيلاً أصلحه فقال : «أمر أسير من ذلك» وفي رواية : «ما رأيت الأمر إلا يفعل من ذلك» يعني الموت أو المسامة !! والحديث رواه أبو داود وصححه الترمذي !!

هذه الآثار كلها لو أخذت على ظاهرها ما بينت مدينة ولا قرية وإنما الناس في أكرخ لاستعزلات إلا بجهد !

والواقع أنها وردت في الكثرة والمفاخرة والاستعانة على الناس أرباباً القصور جائز بلا ريب

فهل الذين يحرمون التصوير مطلقاً يحرمون بناء القصور؟

إنهم في بعض البلاد لا يزلون يرون القصور في الشطرون محرومة ، وأنقل الأحياء تقتطع القصور لنا في أيام السلام والحرب على سواء ، ونحن نرى أن نرى .



على أن الأحياء تختلف في تأثيرها وصلها لنفسه ، فلماذا كان هناك مجال لأغراض فتن الأوصياء للجنة والأحياء الطرية للامة .

وتعود إلى ما يدان به مؤرخونا وهو أن أمتنا بحاجة إلى الكثير من الجهد والقليل من المهور ، ولو زدنا بقائين ذوى شرف ومقدرة لا يمكن تحويل الفنون إلى عرامل للبناء لا للهدم ، والإشارة الشاعرة لشيء لا إهانة للفرائز الدنيا .

أما القصور فيجب أن تترك بين توصين : الجسم الذي يستمتع بالعلم الآن لأغراض شتى والرسم التي توضع على السطحات من ألبان وألوانه وغير ذلك .

والتصوير سواء كان تمسحياً أو قلمياً هو جزء من الطب والأدب والعلوم الكونية والحربية والتاريخ والفنون الاجتماعية الكثيرة ، والأصل في الإباحة تحديث مسلم .

والأصل في قوم وطبقت الذين سئل ابن عباس عن أخوة كتابه المصحف ، فقال : لا بأس بما هم مصورون ، فأنهم إنما يكونون من عمل أيديهم .

ولم يقل أحد إن صورة الفرجة في المرأة محرومة ، ولا يقول أحد إن إباحتها بطريقة أو بأخرى تحول المباح إلى محرم .

ولا يحرم من هذا النوع إلا ما حمل طابعاً دينياً لمعتقد برفضها الإسلام كصور يوزن أو إزها ، أو صلبان القصور ، أو أي شعار ديني يخالف التوحيد . كما يحرم أي تصوير يمثل بالادب ، ويحرك الفرائز إلى الشهوة .

أما القصور المهيمنة فإنها القصور الواردة تتظاهر على رفضها ، ما لم تكن الأحياء المهيمنة أو عرائس جزية ، كحلولى المناسبات المختلفة ، فإن أحداً لا يفكر في تزيينها أو جازيتها .

وأبعد رابت يمتنع من يستبدون هذه الأصنام في جنوب آسيا ، وأثبت في مصر من يحيى ينشعج تنالاً للصور !! وذلك أثناء قتله من مكان إلى مكان . ١١ . وأبعد أن هناك من رجال القصر من يحرم التصوير كله سواء كان مجسماً أو كان رسماً على زرق ، وأخشى أن يكون سوق القصور مغلقة عن ملاساتها شيئاً في ضياع الدين ولديها معاً

ونعرب مثلاً بالبريات التي جاءت في قضية البناء ما رأى الشيعان عن خياب ابن الارت قال : إن اسم يوجع في كل شيء ينفع ، إلا في شيء ينفع في هذا التراب



## ٢٠. كيف آمن الإسلام حقوق الإنسان...

خلق الله الإنسان ليكرم لا يهين، ولتسجد له الملائكة لا يعيش مع الجوراء ومع أن الإنسان يعاني على الأرض ما يعاني فهو مع بني جنسه إذا صلحوا واستقاموا أفضل عند الله من ملائكة السماء، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا بَنِي آدَمَ دَرَجَاتِهِمْ فِي النَّارِ وَالْبَحْرِ وَرَفَعْنَا مِنْ أَطْفَالِهِمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا فَضِيلًا﴾ (١).

ولكن المثال في تاريخ البشر يعد أن حضائير كثيرة طعنوا ذلك والفضاضة بها أمورها الجور والشراب نجد ما تأكلها وربما فقدت حقوقها المادية والادبية وعاشت كثيرة أسيرة وغيرها من الظلم والظلمات، ينطلق دون قيود

من الذي أثزل، بالبشر هذه الاكوار؟ لم يعمل ذلك ملك ولا جن، لم يفعل ذلك ماء ولا هوا.

إن الذي فعل ذلك بعض البشر، ناس لديهم فصول ساطعة أو قروء، استغلوا سلاسلهم وشأنهم في إيذاء الآخرين وإلحاق بهم.

ومضت قافلة البشرية من قدم تصف الطريق، وتكارر لوجي، وتعارض الإصناف، وتفنن الأخلاق، وتفرغ الأوهام... وأخيرًا استطاع بشر من أولى العزم وحمة الحقيقة أن يقلعوا الأثافي العادة، وأن يبرزوا للباطع الحقيقة، وأن يصنعوا حضائير حسنة ود للسلام ونحس الصفاء، وهيون الحقوق في سرب فعمل أرحم به سلكه الجواب الطويلة في محاربة الاستبداد السياسي وأنظم الاجتماعي والأخلاق الخلق.

وعندما نظر إلى المواد التي فطنتها هذه المسائير تعرف بدقة ما هي الحقوق التي يعاها الإنسان والتي لا يزال الكيرون يشكلون قفدها.

إن الله الأولى في البيان المعلى لحقوق الإنسان تنص على أن الناس يولدون أحرارًا، يتساوون في حقوق والواجبات، ويكون الناس يولدون أحرارًا متساوون كلمة تنق بها معنى بن الخطاب أرجالًا لا اعتداء ولا كلفًا، بل انطلاقًا من الفكرة الإسلامية.

(١) الإسراء: ٧٠.

ولكن هذه الكلمة ظلت دمرًا نظرية خيالية... لكم من أناس ولدوا لهم حقوق ليست لغيرهم، وكم من أناس ولدوا متساويين وانجبت ليست على غيرهم، وكم من وظائف تلازت الفرض في شغلها، واختير لها من ليس لها أهل، ولا تسل كيفية قيامها بذلك تجرروا على سواها فلم يوقف لهم على أثر أو عاشرًا ناكسي روضهم لفرط ما حل بهم، إن القدرة التي أعطاها لبعض ولا يدرى كيف استلهاها - فقلت، وأنموذ لا أحسن لها، ومع أنه الله - وهو القدر الأعلى - لا يظلم أحدا في المالكوت الذي يفرد بحكمه، وكان: (أرضياني بحرمتك المملوءة بشي فلا تضلوا!) مع ذلك فإن ملأنا السلطة والثرة فإياها على الظلم في أنظار كثيرة، وبعد لاى قدرت الجماهير على تفهيمهم بالمسائير والمؤتيق في وقعت نصيبها على سوء الجواب المستقلة والمؤتيقات الآلة... (١).

إن حقوق الإنسان ولدت في دينا مع الظلم بكلمة التوحيد، فندما تؤمن بالله الذي لا يعبد غيره ولا يشيع غيره ولا يحكم غيره، عندئذ تسقط الوثنيات كلها عفاة كانت أو سياسية أو اجتماعية... (٢).

نعم، إن الإيمان بوحانية الله وقبليه على خلقه وتبنيه لكل أسر، والإحسان بأنه -رحمه- لغفر فنانع الخافض لرائع المعطى لالتع، إن ذلك يبع الإنسان حرية واسعة تجعله لا يبقى بطانيت الأرض كلها، لأنهم مهما نص سلاسلهم ليسوا إلا صيداً لير.

ونلاحظ أن القرآن الكريم كرم قصة فروعون مع موسى بنح مشرة مرة، ذلك لأن الفوعة مرفية نفسي شائع بين الحكام المستبدين، وتامل قول فروعون لقومه: ﴿فَمَا أَرْبَكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَفِيدُكُمْ إِلَّا سَبِيلَ لِرُشَادِي﴾ (٣) وذلك للضرورة لا

أنمو بعد ما شهدوا محزنة موسى ظنق ما صنعوا: ﴿وَأَسْتَمُ لَهُ قُلُوبُ أَنَا أَفَادُكُمْ أَنَّهُ لَكُمْ كُمْ الَّذِي غَدَّكُمْ السَّخَرُ لَأَفْلُحَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ جَوَابِ وَأَصْلُكُمْ فِي جَذَرِ النَّجْلِ وَتَصْلُحُنَّ أَيْمَانُ أَعْدَائِي وَأَنْفِي كُمْ﴾ (٤) إن ذلك الفروعون السخيف يرى

اللا رأى إلا زبها فهو وحده الذي يصنع القرار ويرى أن من اعتنق رأيا قبل أن يستأنه محط متورداً إنه ملك الضمائر والسرائر، وأنس عبيد إحصائاته... (٥).

ولكن تبقى الإنسانية هذه القوة: شملت المسائير الأخبية في أبو الفريز - ولأنهم أناس الأمريها، كما وضعت قروءاً حديدية على الصوف في المال العام وبيع البيت به.

(١) مائدة: ٧١.

(٢) غافر: (١).

على أن الرحيل لا يبرح أن يكون قرارا من مقاومة عنيفة ، جاء في خطبة لا يحرر  
 المسبوق د . . . أنا سمعنا رسول الله يقول : «إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يده  
 أو شئنا أن يعصم الله بهم عقابهم . . . أو أرى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من قوم  
 يعمل لهم بالخصي ثم يقتلون على أن يخبروا بالظلمة إلا أوجبوا على الله يعقابهم .  
 والواقع أن الظلمة من أجبر الناس ، ووزع يحسن أحدهم أنه إذا ظلم أحدا ارتدت  
 الظلمة إلى خدمه ، مكر الكف من قبل أن يعتدى . انهم لا يترددون إلا في الخلاء ، ولا  
 يتدنون إلا في الفراغ والليل الشعوب الجارية !!

للإنسان حقوق سياسية تحميه يقفد أي خطا من السلطات كلها عليها ودينها  
 دون أن يلاحظ أي ضرر ، وله أن يتولى أي منصب تؤهله له كفايته دون أن يفقه  
 عائلته ما . وأسلمت تلك أنه ليس لأحد بعد رسول الله هضمة تتولى به على اللحد ،  
 وإن المناصب أمثالت ، ينالها الجبر بها ، ويعد هيبا من لا يستحقها .

والإنسان حقوق عليه تفرقها له الإخوة العامة بين المسلمين ، وقد أشرنا من  
 قبل إلى أن المسلم أحر للمسلم لا يظلمه ولا يسلمه . قال ابن حزم : ومن ترك أخاه  
 يخرج ويحرق وهو قادر على إظهاره وكسوته فقد أسلمه وذكر ابن الجوزي في سيوة  
 عمر بن الخطاب وقد أصابت الناس أزمة أن عمر قال : لو لم أجد للناس ما يسعهم  
 إلا أن أدخل على أهل كل بيت عددهم ففخمسوهم أضاف بطونهم حتى يأتي  
 الله بالظلمة فقلت ، فإنهم لن يهلكوا على أضاف بطونهم .

والناس حقوق ثنائية تحمل العلم بينهم متساوا ، مسود الأخذ ، ويستحق به الذكر  
 والأش ، والغنى والفقر ، فطلب العلم فريضة كما جاء في السنة الشريفة ، وما تفرج  
 ملكات الإنسان ، ويخصب تفكيره وشعوره ، إلا بأبدان لا تنتهي من المعرفة . ١

والشعوب أن الإنسان المسلم من بضعة قرون يحيا بعينها عن دينة وثبتت في  
 غير مغاربه وحكم غير شرائع .

الشعوب هنا تختار حكاهم وتعلمهم إن سمعتمهم أما عندنا فالشعوب تتاجرا  
 بحاكمها كما يباعا الأرض بئنه لا يعرف كيف الخلاص منها !!

وكنما وقعت مباحث إنسان تتألمت الألف عتقيا في كل عاصمة إلا في القواميس  
 الإسلامية ، لأن الظالمات تتبرع من يدري ؟ إن لتجبا يمت لتجبا ، فقد تتحول هدف  
 لتعاملات ضد الأحكام بفعل قائل : لا أفضل أن تخم ، ولؤلؤساء الجيرة سيؤدون لوجبا

وكللك وضعت قوانين صليبة على كل إنسان في محاكمة عائلية ، فلا يحسن  
 أو يمتثل أو يؤذي جيرا وطنيا ، وإنما يبقى إنسانا مصروبا حتى يصلح القضاء لثريه  
 حكما عليه فيؤخذ به وحده

إن الرسول رأى وحشيا للذي قتل عمه حمزة أحب الناس إليه فما استطاع أن  
 يسيء إليه بكلمة بعدما أسلم .

ورأى عمر بن الخطاب رجلا قد قتل أخاه في الجاهلية ثم أسلم ، فقال له  
 عمر : والله لا أحياه قال : أتألك يعني حتى يا أخير المؤمنين ؟ قال : لا . قال : لا  
 خرج إنني ، إنما يأتي على الحب للناس !!

الحق أن سنة الرسول ﷺ وتقليد الخلافة الراشدة كانت تؤدجا أعلى لأحرام  
 الإنسان وإحاطة على حقوق ، كان الناس يدور من له مظلمة عنده أن يقض منه ،  
 وانعد حقا وكان خلافه ، كذلك ، وقد رفض عثمان أن يستنقر أهل المدينة  
 - خيموا بيتك - للامع منه ، حقا للماء من استباحوا دمها

ولو كان في الحكم رجل أحر لا هلك نصف الناس للامع عن شخصه !!  
 في هذه البيئة الحرة ترعى الرجال الذين هموا القيصريه والكسورية ، واستمتع  
 التاريخ إلى رجل منهم يقول في أرض فارس : جنتا تخرج الناس من حياة العباد  
 إلى جادة الله وحدها جنتا تخرج الناس من ضيق الأديان إلى سعة الإسلام  
 كانوا يدركون أن الوجه الآخر لكلمة التوحيد هو حقوق الإنسان ، الإنسان الذي  
 لا ينحس إلا ربه وحده

من هنا كانت البيئة الحرة الهاد للعدا تكونين الأمة المسلمة العارضة برها السبية  
 في وطنها التي لا يجز عليها ولا يستباح حماها ، وقد كره الإسلام الاستغصاف ،  
 ووزع على المؤمنين أن يكون حصي الاتفاق عزيزا الجانيا

فإن ضاقت به أرض فليرحل إلى غيرها ، وليس كما كتب الله له قويا أيا  
 فوفى أعباء الذين أنشروا زكمت للذين أحسروا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله  
 واسعة . . . (١)

## ٣١. هل مسئلة السلم تجاه المجتمع الإسلامي وحده أم تجاه المجتمع البشري كله. كيفية؟

مرفوض: بالإسلام يحمل ولائى للناس كلهم جزءاً من ولائى للمسلمين الذى اجبته فاننا لا نأمر بانتشار فى هذا الولاة الواحد.

وقد سمعت أحد الشيوخ فى أثناء الدروس يقول : نحن المسلمين أمة الإجابة ، وغیرنا من أهل الأرض أمة للدعوة قلت : ما معنى هذا؟ قال : أى محمدا ﷺ دعا العالمين إلى الله ، ف نحن استمعنا إلى النداء وأسلمنا ورجعنا لله ، ونحن فینا قوله تعالى : ﴿وَمَا آتَيْنَا سَمْعًا مُنَادِيًا يَقَادِي لِإِجَابَةِ أَنْ آمَنُوا بِكُمْ فَأَتَيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّافًا مَعَ الْآمِنِينَ﴾ (١) ف نحن أمة الإجابة!!

أما غیرنا مدعو مسلمنا ، ولا يجب بعد العمل للنداء لم يعمل إليه ، أو لمعله وصل إليه مشوهوا لا يحرك دواى القبول ، ولأى ما كان الأمر فهو مدعوا وعلى أن يائمه ما يجعل ، وإن أثير فيه دواى التصديق ، لقد عرفت الحق قبله ، فالتفت ، ولست أولى منه بذلك الغير ، وقد يكون خيراً منى لو عرف ما عرف ، ولواجب يفرض على أن أكون صورة مرغية لا صورة مقفرة ، ولأى كنت مستولاً عن إصلاحه ، أو محلاً لآزاره!!

ومن الغرض أن عدداً من علماء المسلمين شغله الحرف العطف فكان أمانة للدعوة والبلاغ ، وأن عدداً من حكام المسلمين شغله المجد السياسى ، فما أحسن خدمة الحق ولا جلب الانتباه إليها ، وشأى من ذلك أن العلاقة بين أمة الإجابة وأمة الدعوة كانت ملية بالنظام ، بل كانت مخفية بالدماء

قد تقول : أمداً كل ولائك للإسلامية؟ وأجب للمفوض : لا ، لا تتن أبى حسن الحق بالقطرة الإنسانية نفسها ، لأنى مسلم أعلم أن الصفة الأولى للمسلم أنه دين

(١) آل عمران : ١٨٣

القطرة إن الناس يلبثون عليه ويتجاهلون إذا أذكروها . . . ولهم تنفع قبضة المورثات الربوية فإن الجماهير ستكون قريبة منى أو أكون أنا قريباً منها . ولو خلى الراء وكثر لاجه إلى إله واحد ، وشعر بدوافع ذاتية إلى هذا الرب الوحيد ، ولو خلى الراء وفكره لأثر للزواج على المعهر ، والمصحح على المسكر ، والإجاء على الآثرة ، وانصيحة على الغش

اننى حسن الحق بالقطرة البشرية ، واضعاً دأى أيتها كللمر الذى نبتت جعل الراء شهى العلم ، بيد أن النبات قد تمدو عليه أمراض شوه لونه ومذاقه ، إن هذه الأمراض طلل طارئة ، وقد تعارف للزواج على مشاومتها كى يحموا محاسنهم ، لكن الأجيال الناشئة يبتا لا تجد الحماية الكافية ، ومن ثم قد تلتهمها الآثرة الخلفية والاجتماعية والسياسية ، فنسب الصغار بالثمن زائغين! ومثاق يعمل أولئك الصغار إذا سمعوا منذ نعومة أظفارهم أنه لا إله ، والحياة مادة أو سمعوا أن الألهة شركة مقرها جبل أولب أو صحراء الجزيرة أو فوق السحاب؟ إنهم يكبرون زائغين .

إنراى أدافع عن ذلك التحريف؟ كلا ، وإننا أذكر الواقع الجرد : والذى أعلمه أن الله زود للقطرة بخصائص تلك بها حق الاعتراض على الباطل الذى يعرض أو يفرض عليها ، وأن هذه الخصائص من القوة حيث بعد أعمالها تقتصيراً سبباً وأساساً لسلك عائلة يوم الحساب ، قال تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ بِمَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مِنْ مَّوْعَدٍ وَذِكْرِهِمْ وَأَتْلُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُمْ بِذِكْرٍ قَالُوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلون﴾ (١) أو تقولوا إنما آتونا من قبل وكنا ذرية من بعديهم أقبلناكم بما فعل السفيلون (٢) وكذلك تفصل الآيات وتلهم بوجوه (٣)

هذا الطرح ناضح بأن الخصائص الذاتية للقطرة الإنسانية قادرة على المقاومة والرفض ، يجب أن يفرض العمل الخرافة ، ويتشبع بالحقبة ، ويجب أن يفرض الضمير البشري الأم ويتشبع بالبر والطيبة .

(١) الأعراف : ١٧٢ - ١٧٤ .

إن الذين تحسن للحسن وفتحوا للفتح حيث كان ، ومن أي الناس كان . وأذكر أنني لم أعلم بصدور العلماء الصوماليين المعروفة الذين رفضوا قوانين الأسرة الجبيلة في الصومال ، إلا من استنكر لجنة الدعوة الدولية لا وقع ١٠٠ إن أغلب الإذاعات الإسلامية والبرية أثرت الصمت ١١٠

قلت : هؤلاء - لسأكتون أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان ، أما الجانب المعاصرون للنظام فهم أقرب إلى الإيمان منهم إلى الكفر إن حلاله الأجيال على ظهر الأرض يحيى من شيخ الخبيث وسكان المارين ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً يَبْغُونَ عَنْ الْقُدَّاسِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَفْقَاهَا ﴾ . وأنت الذين ظننوا ما أنزلوا فيه ، وكانوا مجرمين (١١٢) وما كان ذلك ليليك القرى بظلم وألفها مضعون (١١٣)

والاتجاهات الثائرة لا تجمع نال ، كم من مستمين إلى الإسلام لو تقررت في أعمالهم ما رجحت أئروا لفطرة سليمة ، أو تقوى حقيقية ، ولم تجد مسالك هي الإسلام بينه ولكن الموانع مفقود ١٠٠

أعجبتني نظم لدوري في الغرب ، وأنها نظيرا جيدا لا حدث في سقاية شمس مساعدة قديما .. بأنها أدت إلى دولة الجور الذين أهانوا الإسلام وأنت يقولون في صفاتة نافذة : هذا التباس أجنى ، وشورى عندنا لا نعيد حالها ١١٠

وكانت في أحوال القائلين لو كنت ناسا يخترى بهم الحق ، ويستخفى المودة ، يسترون عورتهم العظيمة بركعات ميتة ، ولدين شائنة ، قتل في نفس : الأديون في نظم الشورى قتلوا النبوة والخلافة للرئاسة ، ومولاه العرب قتلوا الحجاج والمعصم وبقية السلاطين ١٠٠

ما أكثر ما ظلمت أسننا بالقولين الجيلة ..

على أن الإنسانية في غيبة الوحي شعيت بها الطرق وتفرقت مذاهب شتى كما راحت الفجرة غرائز وأهواء جامحة ، والخضرة التي تسود العالم اليوم تشبهها

(١) سورة ١١٣ ، ١١٧

وإذا حدث أن خفت صوت الفجرة ، جاءت مجامع من الطرح لملاوته كي يوثق ويظفقه ، وينقي الإنسان إنسانا ، يبرز به ويؤثر دونه ١١١

وإذا كان الوحي الإلهي غير كاف في إيقاف الفطرة وإعادة المساهة إلى رشده ، أحاطت بالآباد والجماعات الأم بكمس الفجور وتوق المحجب وتكمل البشرية على الخسوع بالأهلا وربانته لرحمة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَيْمَانِ وَالْغُرْءِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١١٢)

ومع تلك فالفطرة وحدها لا تطغى في كل شيء ، إنها تحلج وتعيب ، وتغير وتستقيم دونها نحن المسلمين أن ندغم الصواب ، وأن نؤمن الخطأ ، وأن نذكر بما توبى من حق .

وفي ظلمات الجاهلية الأولى شعر تغير من قوى التلويح الجيلة أن المستضعفين يجال عليهم في الحرم ، وتغيب حقوقهم ، فتجمعوا وقرروا أن ينجروا للهوف ، وينقروا إلى جانيه حتى يرش ، ذلك هو حلف القبول الذي تم في حال عبدالله بن جعدان .

وبعد ظهور الإسلام ونزول الوحي ، ذكر لسي ﷺ هذا الخلف بأعزاز هؤلاء وقال : لو دعيت به في الإسلام لأجيبنا نعم إن الإسلام الذي جاء به هو الإنسانية في صورها الوسيمة ، ونحن - انبياءنا في هذا المعنى - نرى أولانا عليا في الميدان للدولة أن نحابز الفجرة المعصومة ، وأن نخاصم الاستكبار بالفجرة ، وأن نقر عينا باعتبار العدالة ، وأن نفرح بشيخ الرخاء بين جاد الله .

إنني أطمح الرجال للنسب ويعلمون باسم وجبة الدعوة الدولية ، على البقعة الخلقية : الفجرة الإنسانية التي تجعلهم يقررون الأحداث في العالم ، بأنها وجدوا ظلمنا شعورا به ، ومروا الاستار عنه ، وكلموا الدنيا عليه .

أعمر كان هؤلاء الناس يتفنون الحقيقة التي تلقيناها من رسولهم الصف الرحيم لقائل : بأنها عمت الحقيقة في الأرض ، كان من شهدها فأنكره كما عاب عنها . ومن عاب عنها لم يصبها كان كمن شهدها ١١١

(١) الأعراف : ٤٤

## ٢٢. ما تأثير القرآن في الفكر الإنساني؟

بحسب كثيرين أن صلة الدين بالقلب أسبق من صلته بالعقل ، لو أنه بحسب الإنسان أن يكون صافي الروح نيل الخلق صادق المشاعر ليقم دينه ويكمل يقينه ، مهما كان عقله بعد ذلك ..

وذلك خطأ لأن الإسلام يريد أولاً عقلاً سليماً وذكراً مستقيماً ، فما قيمة امرئ مثيري الدهن سقيم التفكير؟

إن صحة النظر إلى الأمور وفقه الحكم على الأشياء هي ، أولاً ، ثم هي ، اللطيفة والنية الحسنة بعد ذلك ..

وعندما بدأت الدعوة إلى الإسلام أهل القرآن بالناس أن يقضوا عنهم ما ورثوا من خرافة ، وإن عجزوا البقطة إلى عقولهم الغيبة **﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِهِ إِحْدَةٌ أَنْ تُقْرَبُوا لِلَّهِ فَمَنْ رَدَّيْكُمْ ثُمَّ تَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝١﴾**

كان التصحيح للتعاليد القائمة يقولون : **﴿ وَأَنَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ سُبُلٍ مَّيْثُورِينَ ۝٢﴾** وكان النبي الكافح لإزالة هذه الغيبوبة العقلية يرفض هذا التعاليد الأعمى **﴿ قَالَ أَوْ جِئْتُكُمْ بِأَعْدِيَٰ مِمَّا رَجَعْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۝٣﴾**

لأنه من موازنة عاقله ، ونتيجة صحيحة لتجربتها وتصويرها إليها وألقى أي لم أقرأ كتاباً منسوحاً إلى السدا احتفى بالنظر لعقلى وخط على صورة معلم الإيمان مسلماً قبل القرآن الكريم ..

إتة يخاطب الإنسان هكذا **﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَخْضِبُ**

(٢) الخروف: ٢٢ .

(١) سبأ: ٤١ .

(٢) الخروف: ٢٤ .

تخاضع وتقلص كثيراً .. وما احتضف للناس في مفهوم العمل ، بل في مفهوم القضية والاذلة ، وبين الجهتين اللتين تحكمان الحام قدوت واسع في وجهات النظر .

وذلك كله يؤكد ضرورة الرجوع إلى وحى الله والاستهداء به في مساهلات الظنون ، ومشتبهات الهوى ، لأن لا بد من دين لدنيا الناس .

ونحن المسلمين تلك الوحى الخاتم ، ومن حقنا وجدنا أن نتكلم باسم موسى وعيسى ومحمد جميعاً ، وإن كنا جميعاً لبلب الدين ، ونضمن جملة المطابق التي يفترض إنها الشر ، ليؤلفوا بحق الله أولاً ، ثم ليتعاضوا متناولين متراحمين في هذه الحياة .

بيد أن الناس لن يسمعوأ حقاً ما نيقينا على تخطنا الشائن ، وما يقينا جملة بقمعة التراث الذي لدينا ، وما يقينا - على غنا - تسول من الشرق أو الغرب براجع إصلاح وضوابط حياة .

فلسعد قنينا بأنفسنا ولنوق إقائنا ، ولتسلك بالخصائص التي زكت ولزقت بها أمستنا ، وهي ما قرره الآية الكريمة : **﴿ كُتِبَ خَيْرَ مَا أُخْرِجَتْ النَّاسُ فَأَمْرُهُمْ بِالْخَيْرِ ۝١﴾**

إننا لسا جهة ثالثة في العلم ، إننا الجهة الأولى فيه ، فلما أزيها بأنفسنا أزيها بنا الآخرون ، وطريق الدعوة عهد لا مسجودا



(١) آل عمران: ١١٠ .



وقد حارب القرآن الأوهام، وكم يعيش الناس صرعى أوهام وحارب الظنون، وكم من ظنون توارثها البشر، وجعلوا منها عقائد مقدسة، وما كانت يوم وجدت إلا شعائعات لا أساس لها... هو وما يتبع أكثرهم إلا غفلاً إن الغفل لا يفني من الحق شيئاً إن الله عليهم يقظون<sup>(١)</sup>.

ومن هنا نعى الله سبحانه وتعالى أن تتبع ما لا تعلم وأن تتأثر بما لا أصل له، لقد وهب لنا الفكر والحواس لخدمتهما في تبين الحق، وسوف يساعدنا عن طريقة استخدامنا لتلك الحواس هو ألا نقف إلا على ما نرى من العلم، وأن السمع والشم والذوق كل أولئك كانت عده مسؤولاً<sup>(٢)</sup>، ومن معالم الجماعة المسلمة أنها تحترم المنطق، وتحارب بالبيِّنات وتضعف لسلطة العلم، وتندمض هذا المنهج إلى غايته وهو حلل المشكلات وتوضيح الرؤوس الوحيد، فتدري الجملة على الشركيين مثلاً بأنهم يتبنون ما لا دليل عليها، قال تعالى: «وَمَنْ يَبْتَغِ اللَّهَ الْآخِرَ لَا يُرِخْ لِهٖ بِهٖ غَايَتَهُ»<sup>(٣)</sup>، بل إن ذلك يراعى عند قصص الأديين، وذكر أساليب الخروج على الضالين المستبدين، فقد جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم الكف هو قول: «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَا يَأْتِيهِمْ سُلْطَانٌ مِنْ رَبِّهِمْ...»<sup>(٤)</sup> أي بطلان واضح مقبول.

الحق أن أثر القرآن الكريم في الفكر الإنساني عميق، إنه هو الذي أقام الإيمان على المنطق ورفع راية العقل.



(١) يونس: ٣٦.  
(٢) المؤمنون: ١٨٧.  
(٣) الإسراء: ٣١.  
(٤) الكهف: ١٥.

الذي يعتمد على العاطفة أكثر ما يعتمد على الفكر... فهل لديهم ما يوصف بأنه فكر أو عاطفة؟ إن ما لديهم فراغ!!

ولا يوجد كتاب نبي الإيمان على البرهان، إلا هذا القرآن، إن التفكير فريضة إسلامية كما يقول الأستاذ العقاد

وحال التفكير هو في العلم المادي، هنا يستطيع الإنسان أن يلاحظ ويستنتج ويتابع التجارب ويذكر الغرض ويصل آخر الأمر إلى ما يقصده في دينه ودينه، وذلك ما فيه إليه القرآن الكريم عندما قال: «وَإِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٌ لِلَّذِينَ لَا يَلْقَوْنَ آيَاتِ اللَّهِ يَحْكُمُونَ الْقِيَامَ وَهُمْ عَلَى عَنَتِهِمْ جَاهِلُونَ وَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا

سُبْحَانَكَ قَبْلَهُ عَذَابُ النَّارِ»<sup>(١)</sup>

أبو الألباب هنا يتفكرون في خلق العالم ويستنتجون من قراءته المبررة، ونظامه للناسق أنه مخلوق لرب حكيم، فلا عيب ولا فوضى...  
وفي أول السورة نفسها ورد ذكر أولى الأسباب على نحو آخر، إنهم لا يحاولون اكتساب الدلائل العلمية، ولا يخوضون فيما يصعب دركه من شئونها، إنني شخصياً وأشعره بأن الله مالك ستر على عرشه، لا يتبدل شيء عن سلطان، ولا يبعد أمر عن حكمه! لكن كيف تلك؟ لا أدري

ألا لا أدري علاقة دوحى بحسدى، فكيف أدري استواء الله على عرشه!!  
الأفضل أن أتجاوز ذلك إلى غيره على نحو ما قيل:

إفالم تستطع شيئاً فدعه وجازئه إلى ما تستطيع!!  
هو «وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ»<sup>(٢)</sup> على أن هذا السليم ليس جواز مرور للخرافة أو قبحر الاعتقادات وكما قيل: لا يعز على العقل فهمه شيء وما يحكم العقل باستحالته شيء آخر...!

(١) آل عمران: ١٩٠، ١٩١.  
(٢) آل عمران: ٧.